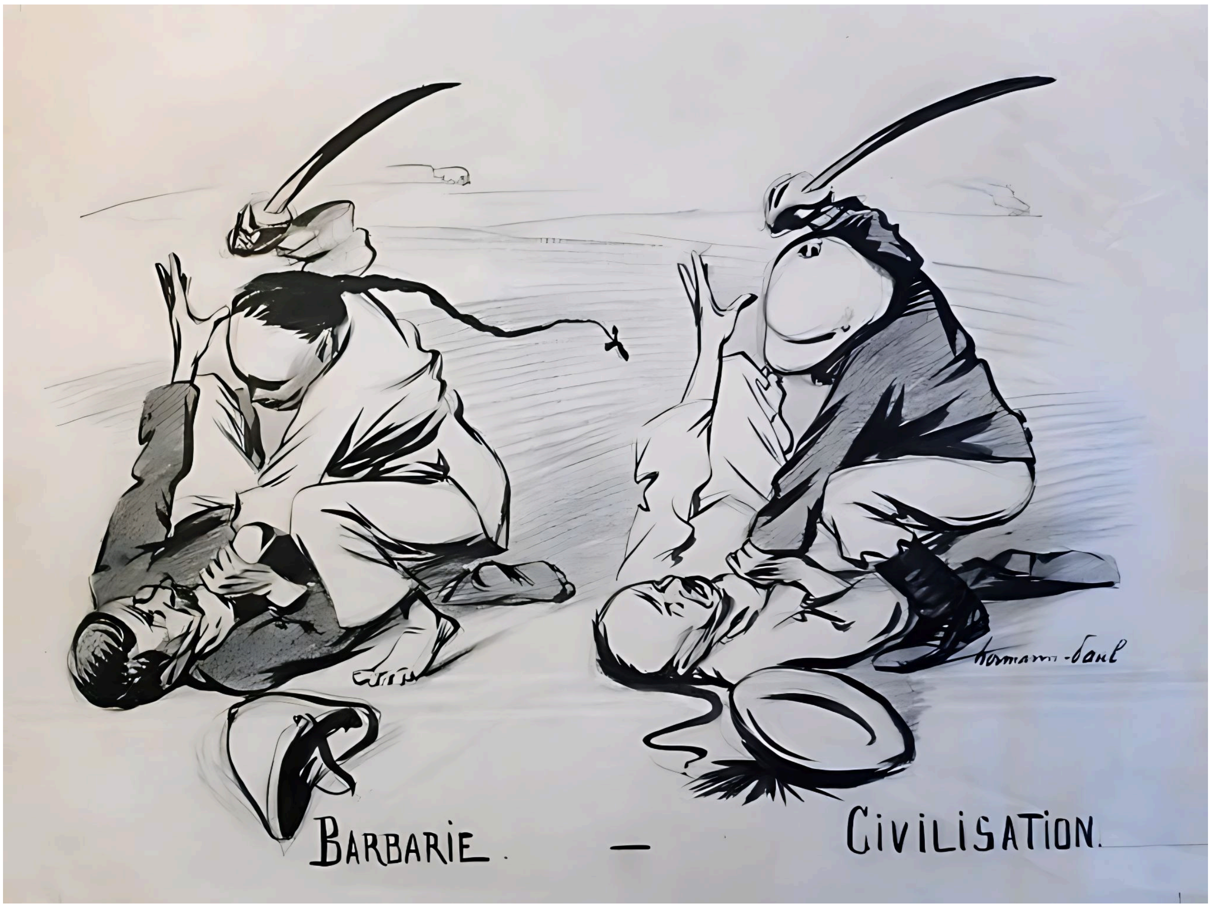
ايميه سيزير

خُطْبَة عن الاستعمار



ترجمة الدكتور **خالد أحمد سليم**

من مصر

للتواصل الالكتروني:

x.com/khaleds657

kselim657@gmail.com

facebook.com/shahloof.5680

اكتملت الترجمة في 1 سبتمبر 2026

المحتويات

مقدمة للمترجم العربي

ايميه سيزير (1913-2008) هو شاعر وكاتب ومثقف وسياسي من جزيرة *مارتينيك*، الجزء من "جزر الأنتيل الفرنسية" French West Indies التابعة للدولة الفرنسية، والتي هي بدورها جزء من أرخبيل جزر صغيرة يُسمى "جزر الأنتيل الصغرى" الممتدة بين مستعمرة بورتو-ريكو للولايات المتحدة الأمريكية شمالًا الى الساحل الفنزويلي جنوبًا، صانعةً حدًا شرقيًا ل"البحر الكاريبي" وفاصلته عن المحيط الأطلنطي. وهذا الأرخبيل فيه جزر "مستقلة" ذات دول "مستقلة" (مستقلة زعمًا!) عضوة في الأمم المتحدة، وفيه جزر أقاليم/مستعمرات تابعة لسلطة كل من: فرنسا، مملكة هولندا، مملكة بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية.

أما أرخبيل "جزر الأنتيل الكبرى" إلى الشمال-الغربي ففيه المستعمرة الأمريكية بورتو-ريكو، جزيرة كوبا الأكبر (المستعمرة الاسبانية سابقا، ثم المستعمرة لواشنطن في حقيقتها وبحكم الأمر الواقع، قبل حدوث ثورة 1959)، الدومينيكان (المستعمرة الاسبانية سابقا)، وبجوارها في ذات الجزيرة دولة هايتي (المستعمرة الفرنسية سابقا، ثم المستعمرة لواشنطن في حقيقتها وبحكم الأمر الواقع، وبعكس جارتها الدومينيكان ذات سكان من "البيض" فإن هايتي سكانها هم "أفارقة سود" من نسل العبيد اللي جلبتهم فرنسا من أفريقيا، وهي الدولة حدث فيها ما

يسمى "أول ثورة ناجحة للعبيد السود في التاريخ"، والآن - ورغم استقلالها الاسمي - هي ربما أبأس بلد على وجه الأرض! الولايات/الويلات المتحدة الأمريكية حرصت على تحقيق ذلك!)، ثم جامايكا وجزر كايمان التابعتان لبريطانيا.
أما الجيران لتلك الجزر في "البر الرئيسي القاري" فهم المكسيك شمالا، برزخ دويلات أمريكا الوسطى، ومنهم إلى كولومبيا وفنزويلا جنوبا. وكلهم كانوا بالطبع جزء من الامبراطورية الاسبانية. وكلهم -بحكم الأمر الواقع- هم في حقيقتهم الآن مستعمرات لواشنطن، ما عدا دويلة نيكاراغوا "المتمردة" والمحاصَرَة أمريكيًا، وفنزويلا "المتمردة" لزمني الرئيسين هوجو تشافيز ونيكولاس مادورو 1999-2026، والتي حرصت الويلات المتحدة الأمريكية على إفهامهم عواقب "التمرد"!

أعرف! أنا أزدتُ في تفصيل جغرافي وتاريخي. لكن هذا ليس معدوم الصلة بموضوعنا. ولابد ستأتي إضافات مماثلة أخرى.

وكاتبنا سيزير هو من نسل عبيد من الأفارقة السود كانت جلبتهم فرنسا من افريقيا، كحالة هايتي سابقة الذِكر.
وبالمناسبة: هذا ليس فِعلا حصريا لفرنسا، بل كل القوى الاستعمارية الغرب-أوروبية فعلته. بريطانيا مثلا لم تأتي فقط بالأفارقة السود الى تلك المنطقة، بل أتت أيضا بهنود (من الهند/الراج البريطاني) ومن الصين كعمال وفلاحين لخدمة

الإمبراطورية. وأفضل قليلا في حالهم من "العبيد" الأفارقة! وهناك جاليات هندية كبيرة في جزر الأنتيل الصغرى.
بل إن بريطانيا كانت نقلت هنودا (من الهند) للاستيطان في مستعمراتها في قارة إفريقيا ذاتها!
وكما وظّفت فرنسا جنودًا أفارقة في جيشها، وظّفت لندن جنودًا بالملايين من الهنود في خدمة جيش "التاج البريطاني"، كانت لندن تثق في الهنود كثيرا!

إذا بطلنا الشاعر سيزير هو من نسل عبيد أفارقة كانت نقلتهم فرنسا إلى "العالم الجديد"، ويحمل الجنسية الفرنسية ولغته الأم هي الفرنسية.
وكان عضوًا بارزًا في فريق أدبي وثقافي فرانكفوني يسمى "تيار الزنوجة" **La négritude**. والزنوجة هنا ليست كلمة "سُبّة"، بل كان تيار أدبي وثقافي وسياسي يفتخر بأصلهم الإفريقي. هم من سموا أنفسهم - في ذلك الزمن - بذلك المصطلح، وقبل أن يُصبح لكلمة "الزنوجة"/"الزنجية" في المجال العام معنى سلبي وبشكل حصري في أزمنة تالية، متأثرين غالبا - كما كل حال عالمنا! - بالتحولات الاجتماعية في داخل الولايات المتحدة الأمريكية وكيف يستخدم الأمريكيون الشماليون المصطلحات ويعطونها معانيَ.
وكان شريكا لليسار وللشيوعيين الفرنسيين منذ شبابه، وعضوًا في "الحزب الشيوعي الفرنسي" (وهو حزب "شرعي" في فرنسا بعد "التحرير" من ألمانيا 1944-1945، وكان من

أكبر الأحزاب الفرنسية شعبية بعد الحرب.)، إلى أن استقال منه في عام 1956.

وكتابنا هذا كُتِب قبل هذا الزمن مباشرة.
كُتب أولا كمقال مطول/خُطبة/محاضرة في عام 1950، ثم أعيد صياغته وصدر في كتاب أوسع في عام 1955. في زمن كان شديد الحيوية، وشديد "الآمال الكبرى المتوقعة منه".
وهو مماثل للكتب الأشهر عربيا - الأشهر قليلا! - لمُواطن سيزير المارتينيكي الآخر : فرانز فانون، الطبيب والذي مات شابًا. كُتُب : ***"جِلْد أسود، أقنعة بيضاء"*** ، و ***"معذبوا الأرض"***.
بل ممكن القول أن سيزير ممكن اعتباره "أستاذًا" لفانون. بحكم السن على الأقل. وهما يتحدثان عن نفس الشيء في كتاباتهما، وفي توقيت مماثل.
لكن كتابات سيزير هي أقل شهرة في العالم الناطق بالعربية، إن اعتبرنا افتراضا أن كتابات فانون "مشهورة عربيًا"!

وممكن القول أن كتاب سيزير هذا هو عمل "أكثر جذرية" حتى من كتابات الشاب فانون.
بعضهم وصف كتاب "*خُطبة عن الاستعمار*" أنه : **"إعلان حرب"**.
إعلان حرب على "المركزية الأوروبية"/"المركزية الغربية"، وعلى عموم الثقافة والمثقفين المؤمنين بها، والممكن تسميتهم "المتغرِّبين" the Westernized، من أي أصل عرقي هم

يأتون، من أي لون جلد لهم، ومن أي أيدولوجية/عقيدة يؤمنون بها.
ويُعتبر الكتاب في الغرب كأحد أهم الكتب التي دشّنت فكرة وسياسة "مدرسة العالم-ثالثية" Third-worldism ، أو مدرسة تآزر دول وشعوب "الجنوب العالمي" Global South بتعبير آخر لنفس المعنى.

المدرسة الفكرية والسياسية الذين هم بالطبع قد هُزِموا - هزمتهم واشنطن التي تقود "العالم الأول" - مع هزيمة "العالم الثاني"/"الكتلة الشيوعية الشرقية"!
وتوسعت "الغربوية" توسعا هائلا، وأصبحت بشكل أكثر تحديدا تُعرَف ب"الأمركة" Americanization كالتعبير الأسمي والأعلى ل"التغرُّب"/الغربوية/الاستغراب!

وسنرى معا ما سيقوله سيزير في أول خمسينات القرن ال20.

سنرى ذلك بالتحديد من خلال الترجمة الإنجليزية للعمل بواسطة المترجمة والكاتبة الأمريكية **جوان بينكهام (Joan Pinkham)**، وهذه هي الترجمة التي أنا اعتمدت عليها (لأنني لا أعرف الفرنسية)، وهي الترجمة الإنجليزية الأشهر والواسعة النطاق للعمل. وهذا برغم أنني بحثت بسرعة - عبر الانترنت - عن بعض معلومات عن "شخص" تلك المترجمة الأمريكية فلم أجد أي تفصيل عن حياتها الشخصية.

أما الصورة التي اخترتها لغلاف الكتاب فهو رسم كارتوني/كاريكاتيري صحفي شهير (على ما أتذكر من فرنسا)، يعلق الرسام فيه ناقدا عن رؤية الغرب ل"ثورة الملاكمين" في الصين 1899-1901 (كانت هي آخر محاولة من "القوميين الصينيين" لإنقاذ "سلالة شينغ" الإمبراطورية من الدمار، بمناوئة نفوذ الأجانب في الصين، ومناوئة توسع "التبشير بالمسيحية" بين الصينيين. وأتى دحر ثورة الملاكمين - بمعونة خونة من داخل السلالة الامبراطورية نفسها - ليكتب "صفحة النهاية" للإمبراطورية العظمى شينغ.

وتطلب الأمر إنشاء ما سمى ب"تحالف الأمم الثمانية" Eight-Nation Alliance - بريطانيا، ألمانيا، روسيا، اليابان، فرنسا، الولايات المتحدة، ايطاليا، والنمسا-المجر - لأجل غزو الصين، دحر "الملاكمين" وإبادتهم.

وهؤلاء "الثمانية" منهم 6 من أعضاء التجمع الحالي الذي يسمى "السبع الكبار" G7. حتى أن روسيا - أحد أعضاء ذلك الحلف ضد الصين- كانت عضوة في ما كان سمي في وقتها G8، قبل أن يطردوها في عام 2014 ويعودون 7 مرة أخرى!

وفقط بعد 11 سنة من نجاح حلف الثمانية ذاك في إبادة الملاكمين، انتهت إمبراطورية شينغ الصينية بشكل رسمي.)

وينقد الرسم الكرتوني الغربي رؤية الغرب لثورة الملاكمين، ونفاق الغربيين عن معاني كلا من "الحضارة" و "البربرية".

نص "خُطبة عن الاستعمار" :

الحضارة التي تعجز عن حل المشاكل التي تخلقها هي حضارة منحطة.

والحضارة التي تغض الطرف عن مشاكلها الأكثر إلحاحًا هي حضارة منهارة.

والحضارة التي تستخدم مبادئها لأجل الخداع والتضليل هي حضارة تحتضر.

والحقيقة أن ما يُسمى بالحضارة الأوروبية - الحضارة "الغربية" - كما تشكلت عبر قرنين فائتين من الحكم البرجوازي، هي عاجزة عن حل المشكلتين الرئيسيتين اللتين أدى وجودها إليهما: مشكلة الطبقة العاملة/البروليتاريا والمشكلة الاستعمارية؛ وأن أوروبا غير قادرة على تبرير نفسها لا أمام "معيار العقل" ولا أمام "معيار الضمير الإنساني"؛ وأنها، على نحو متزايد، تلجأ إلى نفاق يزداد بشاعة لأنه أصبح أقل قدرة على الخداع.

"*أوروبا لا يمكن الدفاع عنها عسكريًا.*"
يبدو أن هذا هو ما يهمس به الاستراتيجيون الأمريكيون لأنفسهم.

هذا في حد ذاته ليس شأنًا خطيرًا.
الخطير هو أن "أوروبا" لا يمكن الدفاع عنها أخلاقيًا وروحيًا.
واليوم، لا تُوجَّه إليها التهمة من قِبَل الجماهير الأوروبية وحدها، بل على نطاق عالمي، من قِبَل عشرات الملايين من الرجال الذين نصبوا أنفسهم، من قاع العبودية، قضاةً.

قد يقتل المستعمِرون في الهند-الصينية الفرنسية، ويعذبون في مدغشقر، ويسجنون في أفريقيا السوداء، ويقمعون في جزر الهند الغربية. من الآن فصاعدًا، يعلم المستعمَرون أن لديهم ميزة عليهم. أصبحوا يعلمون أن "**أسيادهم**" المؤقتين يكذبون. وبالتالي فإن أسيادهم ضعفاء.

وبما أنني طُلِب مني الحديث عن الاستعمار والحضارة، فلننتقل مباشرةً إلى الكذبة الرئيسية التي هي مصدر كل الأكاذيب الأخرى.

الاستعمار والحضارة؟

عند تناول هذا الموضوع، تكمن الآفة الأكثر شيوعًا في الوقوع

ضحية لحسن الظن بنفاق جماعي، يُشوّه بذكاء المشاكل، لتبرير الحلول البغيضة المُقدّمة لها.

بعبارة أخرى، الأمر الأساسي هنا هو الرؤية بوضوح، والتفكير بوضوح - أي بجرأة - والإجابة بوضوح على السؤال الأول البسيط: ما هو الاستعمار في جوهره؟
لنتفق أولا على ما ليس هو: هو ليس تبشيرًا مسيحيًا، ولا هو مشروعًا ومؤسسة خيرية، ولا هو رغبة في دحر حدود الجهل والمرض والاستبداد، ولا هو مشروعًا يُنفّذ للمجد الأعظم لكلمة الله، ولا هو محاولة لتوسيع نطاق سيادة القانون.
لنعترف مرةً واحدة وإلى الأبد، ودون التردد أمام العواقب، بأن الفاعلين الحاسمين هنا هم المغامرون الغربيون والقراصنة، تجار البضائع بالجُملة ومالكي السفن والمنقبون عن الذهب وعموم التجار، والشهوة الواسعة والسُلطة، ومن خلفهم جميعا: الظل المشؤوم لشكل من أشكال الحضارة التي، في مرحلة معينة من تاريخها، تجد نفسها مضطرة، لأسباب داخلية فيها، إلى توسيع نطاق التنافس بين اقتصاداتها المتناحرة إلى مستوى عالمي.

وبمتابعة تحليلي، أجد أن النفاق هو حديث العهد؛ وأن لا الجنرال الإسباني كورتيز قد اكتشف المكسيك من قمة جبال تيوكالي العظيمة، ولا فرانثيسكو بيزارو مع كوزكو Cuzco (ناهيك عن الإيطالي ماركو بولو و"خان بالق"Cambuluc)،

ولا إدعاءاتهم أنهم رُسُل من نظام سياسي-اجتماعي أسمى هي حقيقة؛ بل هم قتلة سفاحون؛ ونهّابون للثروات؛ وأن لديهم خوذات ورماحًا وطمعًا؛ وأن المدافعين عن هؤلاء الأشخاص وعن إرثهم كعبيد فكريين لهم قد جاؤوا لاحقًا؛
وأن المتهم الرئيسي في هذا المجال هو التشدد المسيحي، الذي وضع المعادلات المضللة:
المسيحية = الحضارة، والوثنية = الوحشية، والتي لم يكن من الممكن إلا أن ينتج عنها عواقب استعمارية وعنصرية بغيضة، كان ضحاياها الهنود، والشعوب الصفراء، والزنوج.

وبعد قولي لما سبق، أقرُّ بأن من الجيد وضع حضارات مختلفة على اتصال ببعضها البعض؛ وأن من الرائع مزج عوالم مختلفة؛ وأنه مهما كانت عبقريتها الخاصة بها، فإن الحضارة التي تنعزل على نفسها تضمحل وتذوي؛ وأن التبادل الحضاري هو بمثابة الأكسجين للحضارات؛ وأن من حسن حظ أوروبا العظيم أنها كانت مفترق طرق، ولأنها كانت مركز جامع لكل الأفكار، ومستودع لجميع الفلسفات الأجنبية عنها، وملتقى لجميع المشاعر، فقد كانت أفضل مركز لإعادة توزيع تلك الطاقات.

لكنني أطرح السؤال التالي: هل قام الاستعمار الأوروبي حقاً ب"*ربط الحضارات ببعضها؟*"، أو، لصياغة السؤال بدِقّة أكثر، : من بين جميع "*طرق التواصل الممكنة*"، هل كان الاستعمار

الأوروبي هو الأفضل سبيلًا؟
أجيبُ بالنفي.

بل وأنا أضيف القول أن بين ***الاستعمار*** وبين ***الحضارة*** مسافة لا متناهية؛ فمن بين جميع الحملات الاستعمارية التي تم القيام بها، ومن بين جميع القوانين الاستعمارية التي تم وضعها، ومن بين جميع المذكرات التي أرسلتها جميع الوزارات، لم تكن هناك قيمة إنسانية واحدة.

أولًا، يجب أن ندرس كيف يعمل الاستعمار على نزع الحضارة عن المستعمِر، ولصنع وحش منه بالمعنى الحقيقي للكلمة، وعلى إخفاض درجة إنسانيته، وعلى إيقاظ غرائز دفينة، على الطمع والعنف الوحشي، وعلى الكراهية العرقية، وعلى النسبية الأخلاقية؛ ويجب أن نُبين أنه في كل مرة يُقطع فيها رأس أو تُفقأ عين في فيتنام فإنهم يتقبلون الأمر في داخل فرنسا، وفي كل مرة تُغتصَب فيها طفلة صغيرة في فيتنام، فإنهم يتقبلون الأمر في فرنسا، وفي كل مرة يُعذَّب فيها مدغشقري فإنهم يتقبلون الأمر في فرنسا، فتكتسب الحضارة عبئًا ثقيلًا آخر، ويحدث تراجع شامل في التحضر، وتنتشر الغرغرينا، ويبدأ مركز العدوى بالانتشار. وأنه في نهاية كل هذه المعاهدات التي انتُهِكت، وكل هذه الأكاذيب التي رُوِّجت، وكل هذه الحملات الاستعمارية العقابية التي سُمِح بها، وكل هؤلاء المعتقلين الذين قُيِّدوا وتم "*استجوابهم*"، وكل هؤلاء الوطنيين الشرفاء الذين عُذِّبوا، في نهاية كل هذا الفخر العرقي الذي شُجِّع، وكل هذا التباهي الفارغ الذي أُظهِر، فإن سُمًّا قد حُقِن في عروق أوروبا، وببطء ولكن بثبات، تتجه القارة نحو ***الوحشية***.

ثم في يوم من الأيام، تستيقظ تلك البرجوازية الأوروبية على وقع ارتداد مرعب:

الجيستابو مشغولون، والسجون مكتظة، والمعذِّبون الواقفون حول آلات التعذيب يبتكرون فيها، ويُحسّنون، ويناقشون الأمر معا.

ويوم ما، يتفاجأ الأوروبيون، ويحسون بالمهانة. يقولون: "يا للعجب! لكن لا بأس، إنها النازية، ستزول!" وينتظرون، ويأملون؛ ويخفون الحقيقة عن أنفسهم، وهي أنها بربرية، البربرية العظمى، البربرية المتوّجة التي تلخص كل البربريات اليومية؛ أنها النازية، نعم، ولكنهم قبل أن يكونوا هم ضحاياها، كانوا شركاءها؛ أنهم تسامحوا مع تلك النازية قبل أن تُفرض عليهم هم، أنهم برّروها، وأغمضوا أعينهم عنها، وشرعنوها، لأنه حتى ذلك الحين، لم تُطبّق إلا على الشعوب غير الأوروبية؛ أنهم قد غذّوا تلك النازية، وأنهم مسؤولون عنها، وأنها قبل أن تبتلع صرح الحضارة الغربية المسيحية بأكمله في مياهها الحمراء، تتسرب وتتسرب وتتقطر من كل شق عندهم.

نعم، سيكون من المفيد دراسة الخطوات التي اتخذها هتلر والهتلرية دراسة سريرية وتفصيلية، وكشف ذلك للبرجوازية المتميزة والإنسانية والمسيحية في القرن العشرين، أنه دون أن يدرك ذلك، يوجد هتلر بداخله، وأن هتلر يسكنه/يركبه كما يركب الجن البشر، وأن هتلر هو شيطانه، وأنه إذا ثار عليه، فإنه يتناقض مع نفسه، وأن ما لا يستطيع مسامحة هتلر عليه في جوهره ليس الجريمة بحد ذاتها، الجريمة ضد الإنسان، ليس جريمة إذلال الإنسان في حد ذاتها، بل الجريمة أنها فُعِلت ضد الرجل الأبيض، لإذلال الرجل الأبيض، وحقيقة أنه طبق على أوروبا إجراءات استعمارية معروفة كانت حتى ذلك الحين مقتصر استخدامها فقط على عرب الجزائر، وعلى "عُمّال"

Coolies الهند والصين، وعلى "زنوج" افريقيا.

وهذا هو الأمر الأبرز الذي أعارضه بشدة في النزعة الإنسانية المزيفة ل"المتغرِّبين":
أنها طالما قلّصت حقوق الإنسان، وأن مفهومها لهذه الحقوق كان -ولا يزال- ضيقًا ومجزأً، ناقصًا ومنحازًا، بل وعنصريًا بشكلٍ بغيض.
(من المترجم : الكتاب مكتوب ومنشور من قبل بدء استخدام مفهوم "حقوق الإنسان" كأداة بروباغاندية/دعائية سياسية أمريكية وغربية شديدة الفاعلية ضد كل "خصوم الغرب"/من قرر الغرب اتخاذهم خصوما، والتي لم يبدأ استخدامها بشكل حقيقي حقا إلا مع إدارة كارتر 1977 ،
الإدارة التي تلت نهاية الحرب العسكرية الأمريكية المباشرة ضد فيتنام -الحرب العسكرية المباشرة، لأن الحرب الأمريكية على فيتنام لم تنتهي في السبعينات! تلاها حصار اقتصادي ل20 سنة تالية لنهاية الحرب! كما أن الحرب العسكرية فقط انتقلت للجارة كمبوديا!- وإعادة تلميع صورة واشنطن - بعد تلك الحرب - عبر العالم ك"قوة خير".
بل حتى مصطلح "الديموقراطية" ذاته - الذي يبدو الآن في ذهننا مصطلح مرتبط بأمريكا - كان مصطلح لا تحبه أمريكا في النصف الأول من الحرب الباردة! ولم تستخدمه. هي كان تحب أكثر مصطلح "الحرية" المُجهَّل/الخالي من المعنى! بل

كانت الدول الشيوعية هي التي تستخدم مصطلح "الديموقراطية"، وتستخدمه حتى في الاسم الرسمي للدولة! مثلا: كوريا الديموقراطية، ألمانيا الديموقراطية، الخ.

ثم إن الترجمة العربية الأصح لمصطلح Human rights الأمريكي المعاصر ليست "حقوق الانسان" حقا، وإنما : "الحقوق الانسانية"! (أيضا مصطلح مُجهَّل المعنى ومفتوح للتأويل والأخذ والرد!)

بينما مصطلح "حقوق الإنسان" the rights of man/men التي يستخدمه الفرانكفوني سيزير هو مصطلح يساري شيوعي أنتي-إمبريالي وعولمي/متجاوز للقوميات (لكن دون نُكران هذه القوميات) سابق لزمن "الأمركة"، وسرقته واشنطن من الشيوعيين كما سرقت مصطلح "الديموقراطية"!

لتدرك الفرق بين المصطلحين، انظر الفيديوهات والصور لزنوج أمريكا وهم يتظاهرون في خمسينات القرن ال20 حاملين لافتات مكتوب عليها : "أنا إنسان" "I'm a Man"!)

لقد تحدثتُ كثيرًا عن هتلر. لأنه يستحق ذلك:

فهو يُتيح لنا رؤية الأمور على نطاقٍ واسع، وإدراك حقيقة أن المجتمع الرأسمالي، في مرحلته الحالية، عاجز عن وضع مفهوم لحقوق جميع البشر، تمامًا كما أثبت عجزه عن وضع نظام للأخلاق الفردية. سواء أعجبنا ذلك أم لا، ففي نهاية الطريق المسدود الذي هو أوروبا، أعني أوروبا كونراد أديناور، وروبير شومان، وجورج بيدو، وعدد قليلٍ من

الآخرين، يوجد هتلر.
في نهاية الرأسمالية، التي تتوق إلى البقاء ليوم آخر بأي ثمن كان، يوجد هتلر.
في نهاية النزعة الإنسانية الرسمية في الغرب والتخلي الفلسفي، يوجد هتلر.
(من المترجم: لم أفهم تماما ما المقصود بكلمة philosophic renunciation / التخلي الفلسفي هذه.
أما الأشخاص ال3 سابقي الذكر فهم ساسة أوروبا الغربية - فرنسا وألمانيا الغربية - الأهم في عام 1950، وبعضهم له دور مهم في إنشاء "الاتحاد الأوروبي")

وبما أن الأمر كذلك، لا يسعني إلا أن أتذكر إحدى مقولاته: ***"لا نطمح إلى المساواة، بل إلى الهيمنة. يجب أن تصبح الدول الأجنبية العرق عنا دولة عبيد مرة أخرى، عمال زراعيين، أو عمال صناعيين. المسألة ليست مسألة القضاء على أوجه عدم المساواة بين الناس، بل توسيعها وجعلها قانونًا."***
هذا الكلام واضح، متعجرف، ووحشي، ويضعنا مباشرة في وسط وحشية صارخة. لكن دعونا نعود خطوة إلى الوراء.
من هو هذا المتحدث هنا حقًا؟
أخجل من قول ذلك: إنه "الإنساناوي" Humanist الغربي، إنه الفيلسوف "المثالي". إن كان اسمه إرنست رينان فهو محض صدفة. إنّ كون هذا المقطع مأخوذاً من كتاب بعنوان ***"الإصلاح الفكري والأخلاقي"***، وأنه كُتب في فرنسا مباشرة

بعد حرب، وهي حرب صوّرتها فرنسا لنفسها وللعالم على أنها حرب الحق ضد القوة الغاشمة، يُخبرنا الكثير عن أخلاق الطبقة البرجوازية.
(من المترجم : الفقرة هي من الكتاب الفرنسي للفرنسي الشهير رينان، والمنشور في عام 1871 ، بعد الغزو الألماني الذي أدى لنهاية امبراطورية نابليون الثالث المتفسخة، حدثت هزيمة وذِلّة وطنية كبرى في فرنسا، واقتطاع ألمانيا بسمارك المنتصرة لأقاليم فرنسية بالقوة.
لكن كاتبنا سيزير عرض الاقتباس من الكتاب بينما هو يتحدث قبلها عن هتلر ليوحي لوهلة للقاريء أن قائل الكلام المقتبس هو هتلر بالفعل!
ثم يخبره بالحقيقة!
أن "داخل كل مستعمِر أوروبي يوجد هتلر")

انظر أيضا :
"إن تجديد الأجناس الأدنى أو المنحطة على يد الأجناس الأعلى هو جزء من النظام الإلهي للبشرية.
عندنا في الغرب، يكاد يكون الرجل العادي دائمًا نبيلًا ولكنه انحط اجتماعيًا، ويده الثقيلة تناسب حمل السيف والقتل أكثر من استخدام الأدوات الدنيئة. وبدلًا من العمل، يختار القتال، أي أنه يعود إلى مكانته الأصلية. حُكم الشعوب تحت امبراطورية Regere imperio populos، هذه هي مهمتنا. (من المترجم : المصطلح هو لاتيني.)

وجّهوا هذا النشاط المستهلك لكل شيء على بلدان، مثل الصين، التي تتأوه لأجل أن تُغزا من الأجانب.
حوّلوا الأشخاص المغامرين الذين يُزعزعون استقرار المجتمع الأوروبي إلى جماعة ربيعية مقدسة ver sacrum، جحافل مثل جحافل قبائل الفرنجة، أو اللومبارديين، أو النورمان، وسيكون كل رجل في دوره الصحيح.
(من المترجم: على ما يبدو، ver sacrum هو مصطلح لاتيني أيضا، ويعني "وَهْب ربيعي للآلهة" وكل ما وُهِب للآلهة -حتى البشر/الصبيان أو الشباب- يُطلقون الى خارج منطقتهم الأصلية، إلى البرية.)
لقد خلقت الطبيعة عِرْقًا من العمال، العرق الصيني، الذين يتمتعون بمهارة يدوية رائعة ويكادون يفتقرون إلى الشعور بالشرف؛ احكمهم بالعدل، وافرض عليهم، مقابل مباركتهم بواسطة هذه الحكومة، مخصصات سخية واجبة الدفع للعرق الغازي، وسيكونون راضين. عرق فلاحي الأرض، الزنجي؛ عامله بلطف وإنسانية، وسيكون كل شيء على ما يرام. بينما هناك عرق من السادة والجنود، العرق الأوروبي. اجعل هذا العرق النبيل يعمل في "مصانع العبيد" مثل الزنوج والصينيين، وسيثورون. (من المترجم : هو يستخدم مصطلح ergastulum اللاتيني)
في أوروبا، كل متمرد خارج عن القانون هو، بشكل أو بآخر، جندي أخطأ في اختيار طريق حياته، مخلوق خُلق للحياة البطولية، وأنت تُكلفه بمهمة لا تليق بعرقه، عامل بائس. لكن

الحياة التي يثور عليها عمالنا ستجعل الصيني أو "الفلاح" سعيدًا، لأنهم ليسوا مخلوقات عسكرية على الإطلاق. دع كل واحد يفعل ما خُلق من أجله، وسيكون كل شيء على ما يرام."
(من المترجم : الكلمة الفرنسية الدارجة fellah تعني فلاح! وكما قد تتوقع هي بالطبع ذات أصل عربي، وغالبا بدأ دخولها لفرنسا مع زمن "الحملة الفرنسية" على مصر.)

من قائل كل هذه الخطرفة العنصرية السابقة؟
هتلر؟ روزنبرغ؟ كلا، إنه "الإنساناوي المثالي" رينان.

لكن دعونا نتعمق أكثر.
إنه السياسي المُسهب في الكلام. من يعترض عليه؟ لا أحد، على حد علمي. عندما يُلقي السيد ألبرت ساروت، الحاكم العام السابق للهند-الصينية، محاضرةً لطلاب المدرسة الاستعمارية، يُعلّمهم أنه من السذاجة الاعتراض على المشاريع الاستعمارية الأوروبية باسم ***"حق مزعوم في امتلاك الأرض التي يحتلها المرء، ويقابله نوع آخر من الحق في البقاء في عزلة قاسية، مما سيترك موارد غير مُستغلَّة راكدة إلى الأبد في أيدي غير الأكفاء."***
ومن يثور غضبًا عندما يُؤكد لنا القس إدوارد بارد أنه إذا ***"بقيت خيرات هذا العالم مُقسّمة بين شعوب متعددة إلى أجل غير مُسمى، كما ستكون عليه الحال بدون استعمار أوروبي، فلن تتحقق لا مقاصد الله ولا المطالب العادلة للبشرية جمعاء"*** ؟

وإذ يُصرّح القس مولر، وهو مسيحي مثله، قائلاً: ***"لا يجوز للبشرية، بل لا يمكنها، أن تسمح لعجز الشعوب غير المتحضرة وإهمالها وكسلها بأن تُهمل إلى أجل غير مسمى الثروة التي ائتمنها الله عليهم، مُكلّفًا إياهم بجعلها تخدم خير الجميع."***
من يعترض؟
لا أحد.
أعني ولا كاتبًا مرموقًا واحدًا، ولا أكاديميًا واحدًا، ولا واعظًا دينيًا واحدًا، ولا مُدافعًا واحدًا عن الحق وعن الدين، ولا مُدافعًا واحدًا عن حقوق الإنسان. (من المترجم : هي هكذا "defender of the human person" ، وبين قوسين، في الترجمة الانجليزية)

ومع ذلك، من خلال أفواه الساروت والبارد، والمولر والرينان وكل أشباههم وقرنائهم في الغرب، من خلال أفواه كل من اعتبَر -ولا يزالون يعتبرون- أنه من المشروع تطبيق نوع ما من "المصادرة لأجل المصلحة العامة" على الشعوب غير الأوروبية وعلى ممتلكاتها لصالح الدول الغربية الأقوى والأكثر تجهيزًا ومنعة، كان هتلر يتحدث بالفعل!
ما الذي أرمي إليه؟
هذه الفكرة: أنه لا أحد يستعمِر ببراءة، ولا أحد يستعمِر دون عواقب عليه أيضا؛ أن الأمة التي تستعمِر، أن الحضارة التي تبرر الاستعمار - وبالتالي استخدام القوة الغاشمة - هي حضارة مريضة، حضارة مريضة أخلاقيًا، والتي، بشكل لا يقاوم،

تنجرف من عاقبة لأفعالها إلى العاقبة الأخرى، ومن إنكار إلى آخر، تستدعي هتلرها، أعني عقابها.

الاستعمار: هو رأس جسر/رصيف ميناء في حملة صليبية لأجل "تمدين الهمجية"، والذي قد يتحول في أي لحظة إلى نفي الحضارة، بشكل نقي وبسيط.
وقد ذكرت في مكان آخر بإسهاب بعض الحوادث المنتقاة من تاريخ البعثات الاستعمارية.
وللأسف، لم يجد هذا استحسانا عند الجميع. يبدو أنني كنت كالمثال "أُخرِج الهياكل العظمية القديمة من الخزانة". بالفعل!
(من المترجم: هو مثل غربي يعني فضح شيء سيء قديم الزمن يجب ستره وعدم كشفه. شاملا معنى حرفي للأمر لأن تكشف جثث الناس الذين أنت قتلتهم من زمن ودفنتهم بالفعل!)

ألم يكن هناك أي فائدة من اقتباس العقيد دي مونتانياك، أحد هؤلاء "فاتحو الجزائر": ***"لكي أطرد الأفكار السيئة التي أحيانًا تحاصرني، كنت أقطعُ رؤوسًا، وليس رؤوسًا من ثمرة الخرشوف أعني، بل رؤوسًا بشرية."***
هل كان من الأفضل رفض إذاعة كلمة الكونت دي هيريسون:
"صحيح أننا نعيد برميلًا كاملاً من الآذان البشرية التي يتم جمعها، زوجًا بعد زوج، من الأسرى في حوزتنا، أسرى من أصدقائنا أو من أعدائنا"

هل كان يجب أن أنكر للماريشال سان أرنو حقه في الاعتراف بعقيدته البربرية: ***"نحن نخرّب الأرض، نحرق، ننهب، ندمر البيوت والأشجار."***

هل كان ينبغي عليّ أن أمنع الماريشال بيجو من تنظيم كل فكره ذلك في نظرية جريئة واستحضارا منه للسوابق المشهورة للأسلاف: ***"يجب أن يكون لدينا غزو كبير لأفريقيا، مثل غزوات الفرنجة والقوط."***

وأخيرا، هل كان ينبغي عليّ أن ألقي في غياهب النسيان الإنجاز التاريخي في فنون القتال العسكري الأوروبية للماريشال جيرارد وألتزم الصمت بشأن الاستيلاء على مدينة أمبيكي في مدغشقر، المدينة الافريقية الصغيرة التي، في الحقيقة، لم تحلم أبدًا بقدرة لها على الدفاع عن نفسها ضد قوة غاشمة كفرنسا. ***"كان لدى الرماة من مستعمرينا المحليين أوامر بقتل الرجال فقط. لكن لم يردعهم أحد إن تجاوزوا الأوامر. ثملين برائحة الدم، لم يرحموا امرأة واحدة ولا طفلا واحدا في المدينة. . . . وفي نهاية فترة بعد الظهر، تسببت الحرارة في ظهور ضباب خفيف في الجو: كان ذلك هو دم الضحايا الخمسة آلاف، شبح المدينة، يتبخر في غروب الشمس."***
نعم أم لا، هل هذه الأمور التي أسردها هي صحيحة؟ والملذات السادية، واللذات المجهولة التي تُرسل قشعريرةً

ورعشةً شهوانيةً عبر جثة لوتي عندما يُركز منظاره على مذبحةٍ بشعةٍ للأناميين؟ صحيح أم لا؟ (1) وإذا كانت هذه الأمور صحيحة دقيقة، كما لا يُمكن لأحدٍ إنكاره، فهل سيُقال، للتقليل من شأنها، أن هذه الجثث لا تُثبت شيئًا؟

(من المترجم:- تعبير **"جثة لوتي" Loti's carcass** هو عبارة تهكمية يستخدمها الكاتب للسخرية من الكاتب والضابط البحري الفرنسي بيير لوتي. حيث كان لوتي هذا روائياً وضابطاً بحرياً سافر على نطاق واسع وكتب روايات رومانسية أو شهوانية عن أراضي المستعمرات والأراضي غير الغربية عموما. وكان مهووسا ب"الشرقيات" ويجمع التحف في ذلك الشأن، شاملا "جثث" بشرية محنطة.
أما "الأناميين" فهو الاسم القديم الشائع عبر العالم ل"الفيتناميين"، نسبة لاقليم "أنام" التاريخي، الجزء من إقليم "الهند-الصينية" الفرنسي، والجزء الأوسط من فيتنام الحالية.
وقام الفيتناميون بتغيير الإسم في يونيو 1945، حين اعتمدت حكومة "إمبراطورية فيتنام" قصيرة العمر - و"الدولة الدمية" للامبراطورية اليابانية - في مدينة "هوي" اسم فيتنام رسميًا.
وبعد إعلان استسلام اليابان، أعلن أحد كبار "الثوريين القوميين" هو شي منه في سبتمبر من نفس العام استقلال البلاد عن فرنسا تحت اسم "جمهورية فيتنام الديمقراطية"، كاستمرار في المخالفة لتسمية "الأناميين" الأكثر صلة بالاستعمار الأوروبي. ولأن فيتنام هي أوسع جغرافيا من أنام.

لكن في عام 1950، كان ما يزال مصطلح "الأناميين" هو الرائج في العالم الناطق بالفرنسية. لكي يُفهم الكاتب عموم الفرنسيين عما هو يتحدث عنه. رغم أن مصطلح "فيتنام" كان أيضا بدأ تداوله، فقد أعلنت فرنسا "دولة فيتنام" في 1949 ك"دولة دمية" تابعة لها، وتوقف اعتبار المصطلح مصطلح غير قانوني/ مصطلح تخريبي في فرنسا.
وللمفارقة، كلا المصطلحين هما يأتيان في الحقيقة من مسميات صينية قديمة، وكلاهما يعنيان: "الجنوب من الصين".
تاريخيا: كان جزء من "القوميين الفيتناميين" مناهضي فرنسا يريدون نقض كل التقليد الأوروبي، شاملا نقض استخدام فيتنام لأبجدية مطوّرة عن الحروف اللاتينية، والعودة ل"الرسم الصيني" لكتابة اللغة الفيتنامية المنطوقة كما كان التاريخ من قبل الاستعمار. لكن هذا التيار لم ينجح في مسعاه.
كما بالطبع يمكنك من خلال ما سردته ملاحظة صلة "القوميين الفيتناميين" - كما الاندونيسيين وغيرهم في جنوب-شرق آسيا - بزمن وجود السلطة/الاحتلال الياباني لأقاليمهم. بل العلاقة موجودة من عقود قبل حدوث ذلك الاحتلال الياباني حقا.)

أما أنا، فإذا كنت قد تذكرت وسردت بعض تفاصيل قرأتها عن هذه المجازر البشعة، فليس ذلك بأي حالٍ من الأحوال لأنني أستمتع بها بشكلٍ مرضي، بل لأنني أعتقد أن الرؤوس البشرية هذه، ومجموعات الآذان هذه، وهذه البيوت المحترقة، وهذه

الغزوات القوطية، وهذا الدم المتدفق، وهذه المدن التي تتبخر على حافة السيف، لا يُمكن التخلص منها بهذه السهولة.
إنها تُثبت أن الاستعمار، أكرر، يُجرّد حتى أكثر الرجال تحضرًا من إنسانيتهم. إن النشاط الاستعماري، والمشروع الاستعماري، والغزو الاستعماري، الذي يقوم على ازدراء السكان الأصليين، والذي يُبرَّر بهذا الازدراء، يميل حتمًا إلى تغيير من يقوم به؛ فالمستعمِر، الذي يعتاد، لتخفيف وطأة ضميره، على رؤية الآخر ***كحيوان***، يعتاد على معاملته كحيوان، وبالتالي يميل موضوعيًا إلى تحويل **نفسه** هو أيضا إلى ***حيوان***. هذه هي النتيجة، هذا هو **"تأثير بوميرانغ"** للاستعمار الذي أردتُ الإشارة إليه.
(من المترجم: مصطلح من علم النفس الإجتماعي، من أصل من لعبة لحدف أداة البُمِرَنج التي تدور وتأتي لحادفها، حيث تؤدي محاولة التأثير على الآخرين في إتجاه ما وبشكل غير متوقع الى تبني المؤثِّر ذاته للنقيض مما حاول فعله.)

كلامي هو كلام غير عادل؟
كلا. كان هناك وقت كانت فيه هذه الحقائق نفسها مصدر فخر قومي، وعندما كان الناس، واثقين من الغد، لا يترددون في تسمية الأشياء باسمها بكل وضوح. اقتباس أخير؛ إنه من الفرنسي المدعو كارل سيجر، مؤلف كتاب "مقال عن الاستعمار" (باريس، 1907)، يقول :
"تُتيح الدول الجديدة مجالًا واسعًا للأنشطة الفردية العنيفة التي

قد تصطدم في دولنا في أوروبا ببعض الأحكام المسبقة، وبمفهوم رصين ومنظم للحياة، لكن التي تتمتع في المستعمرات بحرية أكبر للتطور، وبالتالي، لتأكيد قيمتها. وهكذا، يمكن للمستعمرات، إلى حد ما، أن تُشكل صمام أمان/صمام تنفيس للمجتمع الحديث. وحتى لو كانت هذه هي قيمتها الوحيدة، لكانت عظيمة."

(من المترجم : حرفيا يتحدث عن قتل الناس إو اغتصابهم جنسيا - أو كليهما! - بلا عواقب قانونية تطال الفاعل.
وما يزال مستعمري اليوم - الأمريكان، فاحشي الثروة، أو الجنود-العبيد في الجيش الأمريكي - يفتخرون بذات تلك "الحرية" و ذات "صمام التنفيس" ل"حضارتهم".)

حقًا، هناك ذنوب لا يملك أحد القدرة على إصلاحها، ولا يمكن التكفير عنها بالكامل.

لكن دعونا نتحدث عن المستعمَرين.
أرى بوضوح ما دمّره الاستعمار: الحضارات الهندية الرائعة، ولا شركة "ديتيرديني‌غ" ولا شركة "رويال داتش" ولا شركة "ستاندرد أويل" ستُعزّيني أبدًا على الأزتيك والإنكا.
(من المترجم: بمصطلح "الهندية" يعني السكان الأصليين للقارتين الأمريكتين، وهذا المصطلح - "الهندي" و "الهنود" - هو بالطبع مصطلح استعماري واضح. ولا يفضله السكان الأصليون بالطبع.

أما الشركات فهي شركات نفطية كبيرة وشهيرة في النصف الأول من القرن ال20، اختفت أسماؤها بسبب "الاندماج" مع شركات أخرى، أو "استحواذ" أخرى عليها.)

كما أرى بوضوح الحضارات الحالية المحكوم عليها بالزوال في يومٍ ما، التي أدخل إليها مبدأ الخراب: جزر بحر الجنوب، ونيجيريا، ونياسالاند. أما إسهاماتها، فأراها بشكل أقل وضوحًا.
(من المترجم : جزر بحر الجنوب غالبا يعني بها جزر وسط وجنوب المحيط الهادئ، المنطقة الواسعة جغرافيا التي تسمى اليوم بإسم "أوقيانوسيا"، أستراليا وكل الجزر الى الشرق وإلى الشمال-الشرقي منها، اللي أكبرهم هم بابوا غينيا الجديدة ونيوزيلاندا. وجزر أخرى في عمق المحيط.
أما نياسالاندا فهو الاسم القديم لدولة مالاوي الافريقية.
وما يجمعهم مع نيجيريا هي الثقافة الانجليزية البروتستانتية واسعة النطاق في 1950، والتي كانت تتوسع بإطراد.)

الأمن؟ الثقافة؟ سيادة القانون؟ في هذه الأثناء، أنظر حولي، فأينما وُجد المستعمِرون والمستعمَرون وجهاً لوجه، أرى القوة والوحشية والقسوة والسادية والصراع، وفي محاكاة ساخرة للتعليم، أرى إنتاجاً متسرعاً لبضعة آلاف من الموظفين التابعين، و"الأولاد"، والعمال، والحرفيين، وموظفي المكاتب، والمترجمين، الضروريين لتسيير الأعمال بسلاسة.
أنا أتحدث من خلال إطلاع مباشر بالأمر.

بين المستعمِر والمستعمَر، لا مجال إلا للعمل القسري، والترهيب، والضغط، والشرطة، والضرائب، والسرقة، والاغتصاب، والزراعة الإجبارية لمحاصيل بعينها، والازدراء، وانعدام الثقة، والغطرسة، والرضا عن النفس، والدناءة، والنخب عديمة العقل، والجماهير المنحطة.

لا تواصل إنساني، بل علاقات هيمنة وخضوع، تحوّل المستعمِر إلى مراقب صف، أو رقيب جيش، أو حارس سجن، أو سائق عبيد، وتحوّل الإنسان الأصلي إلى أداة إنتاج.
حان دوري لأطرح معادلة: ***الاستعمار = "التشييء"***.
(من المترجم:- التشييء من thingification ، تحويل الإنسان إلى "شيء")

أسمع صوت عاصفة النقد لي. يتحدثون إليّ عن "التقدم"، عن "الإنجازات"، عن الأمراض التي تم علاجها، وعن تحسين مستويات المعيشة.

أنا أتحدث عن مجتمعات تم إفراغها من جوهرها وعن ثقافات تُداس تحت الأقدام، عن مؤسسات قُوِّضت، عن أراضي صودِرت، عن أديان حُطِّمت، عن إبداعات فنية رائعة دُمِّرت، وعن "*إمكانيات وإحتماليات غير عادية*" مُحِيَت من الوجود.

إنهم يرمون الحقائق على رأسي، إحصائيات، عدد الكيلومترات من الطُرُق المشقوقة، والقنوات، ومسارات السكك الحديدية.

أنا أتحدث عن آلاف الرجال الذين تم التضحية بهم إلى المحيط أمام الكونغو الفرنسية. (2) أنا أتحدث عن أولئك الذين، وأنا أكتب هذا، يحفرون ميناء أبيدجان بأيديهم لا غير.

أنا أتحدث عن ملايين الرجال الذين تم انتزاعهم من آلهتهم، وأرضهم، وعاداتهم، وحياتهم، تم انتزاعهم من الحياة، من الرقص، من الحكمة.

أنا أتحدث عن ملايين الرجال الذين تم غرس الخوف في نفوسهم بمكر فائق، الذين تعلموا أن يكون لديهم عقدة الدونية، ليرتعشوا، ويركعوا، وييأسوا، ويتصرفوا مثل الإمعات التُبّع.

لقد أبهروني بالحديث عن كمية القطن أو الكاكاو التي صُدِّرت، عن الفدادين التي زُرِعت بأشجار الزيتون أو العنب.

أنا أتحدث عن الاقتصادات الطبيعية التي دُمِّرت، كانت اقتصادات متناغمة وقابلة للحياة وتتكيف مع السكان الأصليين وحياتهم، عن تدمير المحاصيل الغذائية، عن سوء التغذية التي تم إدخالها للسكان بشكل دائم، عن التنمية الزراعية الموجهة

فقط نحو فائدة البلدان المتروبوليتانية الاستعمارية؛ عن نهب المنتجات، نهب المواد الخام.

إنهم يفتخرون ببعض التجاوزات والإساءات التي تم القضاء عليها.
أنا أيضًا أتحدث عن الانتهاكات، لكن ما أقوله هو أنه على الصور القديمة - الحقيقية للغاية - هم قاموا بتركيب صور أخرى فوقها، بشكل بغيض للغاية.

يتحدثون معي عن الطغاة المحليين الذين تم ردعهم عن الطغيان؛ لكني ألاحظ بشكل عام، أن الطغاة القدامى يتعاملون جيدًا مع الطغاة الجدد، وأنه قد ثبت بينهما، على حساب الناس، دائرة من الخدمات المتبادلة والتواطؤ.
(من المترجم : وهل يصنع "الطغيان الأجنبي"، الغربي، لخدمته إلا طواغيت محليين؟**!** "الحرية والديموقراطية" الغربية هي حرية المُفرَد من الطرائد المنزوع من عشيرته ليواجه بنفسه مُفردا عشيرة من الأُسُود**!**)

يتحدثون إليّ عن الحضارة، وأنا أتحدث إليهم عن البروليتاريا والتضليل.
بالنسبة لي، أنا أدافع بشكل منهجي عن الحضارات غير الأوروبية.
كل يوم يمر، وكل إنكار للعدالة، وكل ضرب على يد الشرطة،

وكل مطلب للعمال يُقمع بالدماء، وكل فضيحة تُكتم، وكل حملة عقابية، وكل سيارة شرطة، وكل دركي وكل رجل ميليشيا، يُذكرنا بقيمة مجتمعاتنا القديمة.

لقد كانت مجتمعات جماعية، communal societies، وليست أبدا مجتمعات لاستعباد الأغلبية لصالح الأقلية.

لقد كانت مجتمعات لم تكن فقط "ما قبل الرأسمالية"، كما قيل لنا، بل كانت أيضا "ضد الرأسمالية".
(من المترجم : لاحظ هنا الاشتطاط عن التفسيرات الماركسية التقليدية -الماركسية "الأوروبية"!- والتي ستؤدي بالكاتب للكفر بكل "الشيوعية الأوروبية"، باعتبارها جزء من "المركزية الأوروبية" ومن "التغريب"/"الاستغراب".)

لقد كانت مجتمعات ديمقراطية، دائماً.

لقد كانت مجتمعات تعاونية، مجتمعات أخوية fraternal societies.

أنا أدافع بشكل منهجي عن المجتمعات التي دمرتها الإمبريالية.

لقد كانت هي الواقع، ولم تدّعِ أنها "الفكرة"؛ ورغم عيوبها، لم تكن تستحق الكراهية أو الإدانة. كانوا راضين بما هم عليه. لم

يكن لكلمة "الفشل" ولا لكلمة "العناية السماوية" أي معنى لديهم. لقد حافظوا على الأمل حيًا، بالفعل والأمل في الغد. بينما هاتان الكلمتان - الفشل والعناية السماوية - هما الوحيدتان اللتان يمكن، بكل صدق، تطبيقهما على المشاريع الأوروبية خارج أوروبا.
عزائي الوحيد هو أن فترات الاستعمار تمر، وأن الأمم تغفو لفترة وجيزة، وأن الشعوب تبقى.

ويبدو أنهم في بعض الأوساط يتظاهرون بأنهم وجدوا فيّ "عدوًا لأوروبا" ونبيًا للعودة إلى الماضي ما قبل الأوروبي. أما من ناحيتي، فأنا أبحث عبثاً عن هذا المكان الذي عبرت فيه عن مثل هذه الآراء في أي يوم؛ حيث قللتُ من شأن أهمية أوروبا في تاريخ الفكر الإنساني؛ حيث بشرتُ يوماً ب"عودة" من أي نوع؛ حيث ادعيتُ يوماً أنه يمكن أن تكون هناك "عودة" ممكنة.

أما الحقيقة فهي أنني قد قلتُ شيئاً مختلفاً تماماً: وهو أن المأساة التاريخية الكبرى لقارة أفريقيا لم تكن في تأخرها في التواصل مع بقية العالم، بقدر ما كانت في الطريقة التي تم بها هذا التواصل؛ أن أوروبا بدأت في "التوسع" في وقت وقعت فيه في أيدي أكثر المموِّلين وقادة الصناعة من عديمي الضمير الإنساني؛ وأن من سوء حظنا نحن الأفارقة أن نصادف تلك

الأوروبا بالذات في طريقنا، وأن أوروبا مسؤولة أمام المجتمع الإنساني عن أكبر كومة من الجثث في التاريخ.

وفي سياق آخر، عند تقييمي للاستعمار، أضفتُ أن أوروبا قد توطدت علاقتها بشكل كبير مع جميع السادة الإقطاعيين المحليين الذين وافقوا على خدمتها، ونسجت معهم تواطؤًا خبيثًا، وجعلت استبدادهم أكثر فعالية وكفاءة، وأنها في الواقع قد ساهمت بشكل مصطنع في إطالة أمد الماضي المحلي بأبشع صوره.

(من المترجم : وما يزال هذا الوضع مستمر إلى يومنا، لكن انتقلت دفة قيادته من أوروبا إلى "الويلات" المتحدة الأمريكية. حيث هناك ظاهرة أنا أسميها - ويسميها غيري - ب : "حبس التطور الحضاري" للأمم بواسطة الامبريالية الغربية فوقهم. انظر للصين، الهند، الدول الإسلامية، وافريقيا. ال4 جهات بدأوا نفس البداية في أول القرن ال20 كمستعمرات. لكن "الصين الشعبية" فقط "كسرت الحبس"!

ومن يحاول أن يكسره من آخرين - أقل قوة - يتم حصارهم وحربهم. كالجمهورية الإسلامية الإيرانية وحلفائها من العرب. وبمعونة الجيران من "المحبوسين"، شاملا المحبوسين ممن يظنون عن أنفسهم أنهم "سلاطين زمانهم" وأنهم "يلعبون بالدولار لعب"! الدولار هو من يلعب بهم!

المثقف الشيوعي الايراني جلال آل أحمد كان كتب كتابا شهيرا -على نفس نمط كتابنا هذا- في عام 1962 بعنوان: "التسمم

بالغرب"، أو "الابتلاء بسم التغرب"، "غرب زدكي" محذرا من ضياع الثقافة والحضارة الإيرانية الخاصة - وأهم معالمها الإسلام، الإسلام بصيغته الإيرانية - أمام توسع "الغربوية".)

وقد قلتُ - وهذا أمر مختلف تمامًا - إن أوروبا الاستعمارية قد غرست التعسفات وطرق الظلم الحديثة في الظلم الساذج القديم، وغرست الكراهية العنصرية العرقية في عدم المساواة القديمة.

(من المترجم : هو ذاتها "حبس التطور الحضاري" للأمم اللي تحت الامبريالية اللي ناقشناها في الملحوظة السابقة. شاملا الأمم التي قد تظهر بصورة سطحية مزيفة أنها أمم "حديثة"!
وهو أيضا ما أسلفته من استخدام الامبريالية لهذه الأمم "المحبوسة" في حرب أي أمة حرة أو تسعى للتحرر!
مجددا : حالة إيران "الحرة" مع جيرانها من العرب والترك "المحبوسين". والمحبوسين يحاربون المحبوسين أيضا! لأجل مجد "الحابس"!)

إذا تعرضتُ أطروحتي للهجوم على أساس جدال "النية"، فأؤكد أن أوروبا الاستعمارية غير نزيهة في محاولتها تبرير أنشطتها الاستعمارية بعد وقوعها بالتقدم المادي الواضح الذي تحقق في بعض المجالات في ظل النظام الاستعماري، إذ أن التغيير المفاجئ ممكن دائمًا، في التاريخ كما في غيره؛ إذ لا أحد يعلم في أي مرحلة من التطور المادي كانت ستكون هذه البلدان

نفسها لو لم تتدخل أوروبا فيها؛ إذ أن إدخال التكنولوجيا إلى أفريقيا وآسيا، وإعادة تنظيمها الإداري، باختصار، "أَوْرَبتها"، Europeanization لم يكن (كما يثبت مثال اليابان) مرتبطًا بأي شكل من الأشكال بالاحتلال الأوروبي لها؛ إذ كان من الممكن أوربة القارات غير الأوروبية بخلاف ما أصبحت عليه تحت وطأة أوروبا؛ إذ كانت حركة الأوربة هذه جارية بالفعل من قبل؛ بل إنها تباطأت بفعل التدخل الأوروبي؛ وإذ أنها في أي حال من الأحوال قد شوهتها السيطرة الأوروبية.

والدليل على ذلك هو أن الشعوب الأصلية في أفريقيا وآسيا هي التي تطالب حاليًا بالمدارس، بينما ترفض مطالبها أوروبا الاستعمارية؛ وأن الأفريقي هو الذي يطالب بالموانئ والطرق، بينما تبخل أوروبا الاستعمارية في هذا الشأن؛ وأن الإنسان المستعمَر هو الذي يريد التقدم، بينما يعرقل المستعمِر الأمور.

(من المترجم : لي تعليق، أو اثنين عن حديث عن "الأوربة" ومثال اليابان في الفقرة السابقة:
في حالة اليابان و"نهضتها" في أواخر القرن ال19، هي - ورغم جهود "المحدّثين اليابانيين" التي لا يمكن نكرانها بالمجمل - كانت بالطبع مدفوعة برؤى بريطانيا وأمريكا، لتحجيم واحتواء الروس والصينيون. في 1894 شنّت اليابان حربًا شعواء ضد الصين الكسيحة. وفي 1900 تعاونت في "حلف الأمم الثمانية" لغزو الصين مرة أخرى مع كل

"الغرب". وفي 1904 شنت حرب شعواء أخرى ضد روسيا القوية من قبل -وشريكة "الأمم الثمانية"!- لكن التي بدأت في عملية سريعة للاضمحلال والتراجع.
وكل هذا قبل أن يأتي "الفاشيين" للسلطة تاليا في طوكيو وموجة حروب أوسع! (لكن هذه المرة -في ثلاثينات القرن ال20- بعدما أصبح الغربيون يرون اليابان ك"منافس" لهم ويجب "تحجيمها".)
وما تزال هذه هي "المهمة الغربية" لليابان الى اليوم! الصين وروسيا. رغم أنها تضعف الآن كثيرا في تحقيق تلك المهمة، بعودة الصين لوضعها الطبيعي كالطرف المهيمن في إقليمها.
بل حتى استغلال مجرد فكرة "النجاح الاقتصادي" الياباني اللي كان موجود في زمن الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي ونموذجه الاقتصادي أصبح غير ممكن الآن!

والنقطة الثانية:
المؤلف يستخدم مصطلح "الأوربة" بمعنى "التحديث"! كأن أي دولة تقوى/تستعيد نفسها هي "تتأورب" بالضرورة!
وهو ما ذكرني بمصطلح "التحديث الصيني النمط" الذي يسود في الأدبيات الصينية هذه السنوات، وبكلمة قالها الرئيس الصيني شي جين بينغ منذ سنوات قليلة :
"لقد حققنا "التحديث الصيني النمط" ومستمرين فيه، ووفرنا المثال عبر العالم لمن أراد رؤية أن ***التحديث ≠ التغريب***."
لكن في 1950 لم يكن هناك أي من ذلك في العالم.

حتى الأمة "غير الغربية" الوحيدة -اليابان- كانت "عدو" في الحرب العالمية الثانية. ثم هي انهزمت وتدمرت في المخيال الغربي العام. ثم تاليا - بدءا من 1950، حرب كوريا - ستقوم واشنطن بإدخالها بنجاح في "العالم الغربي"/"العالم الأول"!

في 1950، لم يكن "مُنظِّروا العالم-ثالثية" مثل سيزيز رأوا حقيقة "الحرب الباردة" - القائمة ساعتها بالفعل - بين امريكا والسوفييت بعد! حرب بين شريكا "النصر" معا في 1945! وكثير منهم لم يروها حتى إلى زمن عام 1960! وكانوا مشغولين بشكل حصري ب"إزالة الاستعمار الغرب-أوروبي". وظنوا وظن ساسة عديدين في "الجنوب العالمي" أن بإمكانهم "الحياد" بين واشنطن وموسكو، أن بإمكانهم "عدم الانحياز"، وأن بامكانهم "التوفيق"/امتلاك علاقات جيدة بكلا الطرفين معا! وأن واشنطن - من تشن تلك الحرب - ستسمح لهم بذلك!)

ولأذهب أبعد من ذلك، أنا لا أخفي رأيي بأن همجية أوروبا الغربية قد بلغت في الوقت الحاضر مستوىً عالياً للغاية، لا يفوقه إلا همجية الولايات المتحدة، بل تتجاوزها أمريكا بكثير.

ولا أتحدث هنا عن هتلر، أو حارس السجن، أو المغامر الأوروبي، بل عن "الرجل المحترم" في الجوار؛ لا عن عضو قوات الأمن الخاصة النازية الSS، أو رجل العصابات، بل عن البرجوازي المحترم.
في زمنٍ مضى، استشاط "البريء" ليون بلوي - الأديب الفرنسي ، و"الكاثوليكي" الملتزم - غضباً من حقيقة أن المحتالين، والداعرين، وشهود الزور، والمزورين، واللصوص، والقوادين، هم من تم إعطاءهم مهمة "جلب مثال الفضائل المسيحية إلى هنود أمريكا".

ولقد أحرزنا تقدماً: فاليوم، من يمتلك "الفضائل المسيحية" هو من يدبر المكائد - بنجاحٍ لا يُستهان به - لأجل نيل شرف إدارة المستعمرات عبر البحار وفقاً لأساليب المزورين والمعذِّبين.

دليل على أن القسوة والكذب والدناءة والفساد قد تغلغلت عميقًا في نفوس البرجوازية الأوروبية.

أكرر أنني لا أتحدث عن هتلر، ولا عن جهاز الSS، ولا عن المذابح المدبرة بواسطة أعمال شغب "بوغروم" Pogroms، ولا عن الإعدامات الميدانية. بل عن رَدَّة فِعل تم التقاطها على حين غرة، رد فعل تلقائي مسموح به قانونا، عن "كلبية" متسامَح معها. وإذا كان الدليل على كلامي مطلوبًا، فيمكنني أن أذكر مشهدًا من الهستيريا الوحشية آكلة لحوم البشر التي شهدتها بنفسي في الجمعية الوطنية الفرنسية.
بالله، يا زملائي الأعزاء (كما هم يقولون هناك)، أحييكم رافعًا قبعتي. (هي قبعة آكل لحوم البشر، بالطبع).

فَكِّر معي!
تسعون ألف قتيل في مدغشقر! الهند-الصينية دُعست تحت الأقدام، فُتّتت إلى أجزاء، واغتيلت، وأُعيدت أساليب التعذيب من أعماق العصور الوسطى! يا له من مشهد! الارتجاف اللذيذ الذي أيقظ نواب المجلس النائمين. الضجة العارمة الوحشية! جورج بيدو، يبدو شكلا ومضمونا كرقاقة خبر القربان الكاثوليكي مغموسة في الخِراء، الذي يحمل دناءة فعل أكل لحوم البشر لكن المتظاهرة بالتقوى. والآخر ماريوس موتيت آكل لحوم البشر المشبوه بصفقاته المشبوهة وبهراءه الرنان؛ والآخر كوست-فلوريه آكل لحوم البشر الذي يشبه شبل دب لم يُلعق، أحمق أخرق.
(من المترجم: ثلاثتهم هم ساسة فرنسيين مهمين في عام 1950).

فعل لا يُنسى، أيها السادة! بعبارات منمقة باردة ورصينة كأكفان مومياء، يربطون المدغشقري. و ببضع كلمات تقليدية يطعنونه لأجلكم. وفي الوقت الذي تستغرقه أنت لترطيب حلقك، يفتحون بطنه ويمزقون أحشاءه لكم. عمل رائع! لن تُهدَر قطرة دم واحدة.

أولئك الذين يشربون دمه مباشرة، حتى آخر قطرة. أمثال بول رامادييه، الذين يلطخون وجوههم به على طريقة إله الخمر والجنون الإغريقي سيلينوس. (3) وفونتلوب-إسبيرابير، (4) الذي يُقوّم ويرفع شاربه به، شارب فظ لغولي قديم. والعجوز المتداعي ديجاردان ينحني فوق الانبعاثات السامة من البرميل ويسكر بها كما لو كانت خمرًا جديدًا.
(من المترجم : ثلاثتهم ساسة فرنسيين في 1950.)

عنف! عنف الضعفاء.
أمرٌ هام للفهم: ليس رأس الحضارة هو الذي يبدأ بالتعفن أولًا. بل قلبها.

أنا أعترف أنه بقدر ما نكون معنيين بصحة أوروبا وحضارتها، فإن صرخات "اقتل! اقتل!" و"دعونا نرى بعض الدماء"، الخارجة من شيوخ مرتجفين ومن شباب فاضلين تم تعليمهم من قبل الآباء اليسوعيين، هي تعطيني انطباعات سيئة أكثر بكثير من أي عمليات التعطيل البنكية إثارةً التي تحدث في باريس.

وهذا، انتبه، ليس استثناءً في الزمن بأي حال من الأحوال. على العكس من ذلك، فإن الدناءة البهيمية للبرجوازية الغربية هي القاعدة. لقد كنا على دربها لمدة قرن. نحن نستمع إليها، نحن نستغربها، نحن نبحث عنها، نتتبعها، نفقدها، نجدها مرة أخرى، نعمِّي عليها ونسترها، والغثيان المصاحب لإعادة اكتشافها يزداد بالزمن.

أوه! للتوضيح : عنصرية هؤلاء السادة لا تزعجني. أنا لا أفقد نفسي غضبًا كلما أراها أمامي.
أنا فقط أفحصها. أسجّلها، وهذا كل شيء. بل أنا ممتن لها تقريبا بسبب تعبيرها عن نفسها بعلانية والظهور في وضح النهار، باعتباره علامة. علامة على أن الطبقة الجريئة التي اقتحمت سجن الباستيل ذات يوم هي الآن معوقة قعيدة الفراش. علامة على أنها تشعر بأنها على وشك الموت. علامة على أنها تشعر بأنها جثة ميتة بالفعل.
وعندما تبدأ الجثة بالثرثرة، تحصل على هذا النوع من المقولات والآراء:
"لم يكن هناك سوى الكثير من الحقيقة في هذا الدافع الأول للأوروبيين الذين رفضوا، في قرن المكتشف كولومبوس، الاعتراف بالسكان المنحطين في العالم الجديد أنهم بشر مثلهم. . . . لا يمكن للمرء أن يحدق في الهمجي للحظة دون قراءة اللعنة مكتوبة عليه، لا أقول مكتوبة على روحه وحدها، بل حتى على الشكل الخارجي من جسده."

وهي موقعَّة من قبل جوزيف دي مايستر.
هذا ما تم طحنه بواسطة "الطاحونة الغامضة".

(من المترجم : هذا الفرنسي العنصري واليميني دي مايستر هو من زمن الثورة الفرنسية - معارضا لها - وزمن الإمبراطور نابليون الأول. ويبدو أنه كان كاثوليكياً متشدداً وفي نفس الوقت عضو في محافل ماسونية باطنية.
"الطاحونة الغامضة المقدسة" ذاتها يبدو أنه مصطلح لاهوتي مرتبط بالكاثوليكية. ربما يشير إلى إلهم يسوع ذاته. لست متيقنا تماما. ولا داعي حقيقي للبحث بشكل أعمق! فقد اضمحلت تلك الكاثوليكية كفلسفة امبريالية كثيرا الآن. وصعدت "الإنجيلية" البروتستانتية الانجلو-ساكسونية محلها. وهذه لا يوجد "مرجع لاهوتي" لها! بل فيها، بإمكانك أن تفسر الكتاب المقدس كما تشاء!
أما ربط مصطلح "الطاحونة" بذلك العنصري دي مايستر فيبدو انه للاشارة لإيمانه ب**"العناية الإلهية"** في التاريخ الأوروبي.
أن هناك "طاحونة كونية خفية" (الإرادة الإلهية أو القدر) تطحن الأحداث البشرية، والحروب، والاضطرابات، لتنتج في النهاية حكمة، وتطهيراً، ونظاماً روحياً جديداً للعالم! + **التأمل الباطني الماسوني** أيضا. المقصود عامة أن: آرائه هي ثمرة "التصفية الروحية والفلسفية العميقة" له للأحداث!
وهناك إضافة تاريخية أخرى عن اليمين الفرنسي وسكان أمريكا الأصليين: ففي حرب السنوات السبع، الحرب التي

هزمت فيها بريطانيا مملكة فرنسا (المملكة الفرنسية في أواخر زمنها قبل الثورة) وأخذت منهم "فرنسا الجديدة"! (ما ستصير كندا تاليا)، كان السكان الأصليين - أو كثير من قبائلهم - أخذوا جانب لندن في الحرب وليس جانب باريس. لأن البريطانيين عاملوهم معاملة أفضل من الفرنسيين، ووعدوهم وعودا أكبر.)

ثم نصل إلى ما يلي:

"من وجهة النظر الانتقائية، أعتبره أمرًا مؤسفًا إذا حدث تزايد عددي كبير جدًا في العناصر الصفراء والسوداء، والتي سيكون من الصعب القضاء عليها.

مع ذلك، إذا كان مجتمع المستقبل منظمًا على أساس ثنائي، حيث توجد طبقة حاكمة من الشُقْر مستطيلي الرأس وطبقة من العرق الأدنى محصورة في أقسى الأعمال، فمن الممكن أن يقع هذا الدور الأخير على عاتق العناصر الصفراء والسوداء. في هذه الحالة، علاوة على ذلك، لن يكونوا مصدر إزعاج للشقر ذوي الرؤوس المستطيلة بل ميزة لهم ولحكمهم...

يجب ألا ننسى أن العبودية ليست أكثر شذوذًا من تدجين الحصان أو الثور. لذلك من الممكن أن تعود في المستقبل بشكل أو بآخر. من المحتمل بل من المحتوم أن يحدث هذا إذا لم يظهر الحل الأكثر بساطة بدلا من الوضع الحالي، وهو إرتقاء عرق واحد متفوق، متجانس عن طريق الانتقاء الطبيعي."

هذا ما تُنتجه "المطحنة العلمية" لأوروبا، وهو من ابتكار جورج دي لابوج.

وتجد أيضًا هذا (من "المطحنة الأدبية" لأوروبا هذه المرة):
"أعلم أنه يجب عليّ أن أؤمن بتفوقي على فقراء شعب البايا في وادي نهر المامبيري. أعلم أنه يجب عليّ أن أفتخر بأصلي العرقي. عندما يكفّ رجل متفوق عن الاعتقاد بتفوقه، فإنه في الواقع يكفّ عن كونه متفوقًا... وعندما يكفّ عرق متفوق عن الاعتقاد بأنه عرق مختار، فإنه في الواقع يكفّ عن كونه عرقًا مختارًا."
وموقّع باسم إرنست بسيشاري - جندي أفريقيا.
(من المترجم : شعب ال"بايا" هو شعب صغير موجود في كلا دولتي أفريقيا الوسطى والكاميرون. والاسم الأشهر لهم اليوم هو "غبايا"، باضافة حرف الG في الأول.)

ترجم ما سبق إلى لغة الصحافة، وستحصل على إميل فاغيه:
"البربري هو من نفس عرق الروماني واليوناني في النهاية. إنه ابن عم لنا. لكن الرجل الأصفر، والرجل الأسود، ليسا ابن عمنا على الإطلاق. هنا يوجد فرق حقيقي، مسافة حقيقية، وكبيرة جدًا: مسافة إثنولوجية. في النهاية، لم تُبنَ الحضارة قط إلا على يد البيض وبشكل حصري...
إذا تحولت أوروبا إلى اللون الأصفر، فسيكون هناك بالتأكيد تراجع، وفترة جديدة من الظلام والاضطراب، أي عصور وسطى أخرى."

ثم إلى أسفل، إلى أسفل دائمًا، إلى قاع الهاوية، إلى أسفل حيث لا تستطيع حتى المجرفة الوصول وكحت القعر، يوجد السيد جول رومان فاريجول، من الأكاديمية الفرنسية و"مجلة العالَمَيْن" Revue des Deux Mondes الأدبية العريقة. (لا يهم، بالطبع، أن السيد فاريجول يغير اسمه مرة أخرى ويسمي نفسه هنا "سالسيت"، ليأخذ راحته.). (5) الأمر الأساسي هو أن السيد جول رومان يذهب إلى حد كتابة ما يلي:

"أنا على استعداد لإجراء نقاش فقط مع الأشخاص الذين يوافقون على طرح الفرضية التالية: فرنسا التي كان على أراضيها عشرة ملايين من السود، خمسة أو ستة ملايين منهم في وادي نهر غارون. هل كان سكاننا الشجعان في الجنوب الغربي لن يتأثروا أبدًا بالتحيز العنصري؟ ألم يكن ليُثار أدنى شكٍّ لو طُرحت مسألة تسليم جميع السلطات لهؤلاء الزنوج، أبناء العبيد؟... لقد كان أمامي ذات مرة صفٌّ من نحو عشرين رجلاً أسود البشرة... ولن ألوم حتى زنوجنا وزنوجاتنا على مضغ العلكة. سأشير فقط إلى أن هذه الحركة تُبرز الفكين، وأن الصور الذهنية التي تتبادر إلى الذهن تُذكّر بالغابة الاستوائية أكثر من موكب الباناثينايا... لم يُنجب العرق الأسود بعد، ولن يُنجب أبدًا، آينشتاين، أو سترافينسكي، أو غيرشوين."

مقارنة غبية بمقارنة غبية أخرى: بما أن نبي مجلة العالمين وغيرها من الأماكن يدعونا إلى عقد مقارنات بين أشياء

"متباعدة جدًا"، فهل لي، أنا الزنجي، أن أعتقد (فلا أحد يملك زمام أفكاره الحرة) أن صوته هو أقل شبهًا بحفيف شجرة بلوط دودونا، أو حتى اهتزازات المرجل، من قربه لصوت نهيق حمار ميسوري. (6)

مجدداً، أنا أدافع وبشكل منهجي عن حضاراتنا الزنجية القديمة: لقد كانت حضارات راقية.

إذن، المشكلة الحقيقية، كما يقولون، هي العودة إليها.
كلا، أكرر.
لسنا من أولئك الذين ينقسمون إلى "إما هذا أو ذاك". بالنسبة لنا، القصة ليست في محاولة طوباوية عقيمة لتكرار الماضي، بل في تجاوزه. لسنا نريد إحياء مجتمع ميت. نترك ذلك لمن يميلون إلى الأمور الغرائبية. ولا نريد إطالة أمد المجتمع الاستعماري الحالي، الجثة النتنة التي تعفنت تحت الشمس.
بل نريد بناء مجتمع جديد، بمساعدة جميع إخواننا العبيد، مجتمع غني بكل القدرة الإنتاجية للعصر الحديث، دافئ بكل أخوَّة الأيام الخوالي.

ولبعض الأمثلة التي تُظهر إمكانية ذلك، يمكننا النظر إلى الإتحاد السوفيتي.

لكن دعونا نعود إلى السيد جول رومان:

لا يمكن القول إن البرجوازي الصغير لم يقرأ شيئًا قط.
بل على العكس، لقد قرأ كل شيء، والتهم كل شيء.
إلا أن دماغه يعمل على غرار بعض الأنظمة الهضمية الأولية فهو يُصفّي. ولا يسمح هذا المُصفّي إلا بما يُغذي الجلد السميك للضمير البرجوازي.

قبل وصول الفرنسيين إلى بلادهم، كان الفيتناميون شعبًا ذا ثقافة عريقة، راقية ومتطورة. إن استحضار هذه الحقيقة يُعكّر صفو أعمال بنك الهند-الصينية. فلنبدأ آلة النسيان!

وهؤلاء المدغشقريون الذين يُعذَّبون اليوم، كانوا قبل أقل من قرن شعراء، وفنانين، وإداريين؟ ششششش! اسكت و اقفل فمك! ويسود الصمت، صمتٌ عميقٌ كخزنة!

لحسن الحظ، ما زال هناك الزنوج. آه! الزنوج!
لنتحدث عنهم!
حسنًا، لنتحدث عنهم.
عن الإمبراطوريات السودانية؟ عن الأعمال البرونزية لبنين؟
عن منحوتات شانغو Shango؟ لا بأس بذلك بالنسبة لي؛
سيكون تغييرًا عن كل ذلك الفن الرديء المثير للجدل الذي يزين العديد من العواصم الأوروبية.
وعن الموسيقى الأفريقية. لم لا؟

وعن ما قاله المستكشفون الأوائل، وما رأوه... ليس أولئك الذين يتغذون على معالف مديري الشركات**!** بل كتابات فرانسوا ديلبي (François d'Elbée)، وشيفروليه دي مارشيه (Chevalier des Marchais)، وأنطونيو بيغافيتا (Antonio Pigafetta)!
ثم **ليو فروبينيوس** (Leo Frobenius)! قل، هل تعرف من كان، فروبينيوس؟ ونقرأ معًا: **"**متحضرون حتى النخاع من عظامهم**!** إن فكرة الزنجي البربري هي إختراع أوروبي.**"**

لا يريد البرجوازي الصغير الوضيع أن يسمع المزيد. بارتعاشة من أذنيه، يطرد الفكرة بعيدًا.
الفكرة، ذبابة مزعجة.

لذلك، يا رفيق، ستعتبر أعداءك -بشكل راقٍ، وواضح، وبشكل متسق- ليس فقط الحكام الساديين والمصرفيين الجشعين، وليس فقط الحكام الإداريين الاستعماريين الذين يعذِّبون الناس والمستعمرين الذين يجلدون، وليس فقط الفاسدين، والسياسيين المتملقين والقضاة الخاضعين، بل كذلك، ولنفس السبب، الصحفيين الحاقدين، والأكاديميين المتغطرسين، المتغطرسين بالدولارات والغباء، والباحثين في الإثنوغرافيا/الجماعات البشرية الذين يميلون إلى الميتافيزيقا، واللاهوتيين البلجيكيين المتغطرسين، والمثقفين الثرثارين الذين وُلدوا من النسل العفن لنيتشه، وأصحاب النزعة الأبوية المزيفة، والمُتبنين للغرب، والمُفسِدين لأخلاق الناس، والمُتملقين، ومحبي الأشياء الغرائبية، والمُقسِّمين للناس لتفريقهم بما لايوجب ذلك، وعلماء علم الاجتماع الزراعي، والمُضلِّلين، وصناع الأكاذيب الذائعة الانتشار، ومحترفي بيع الكلام الفارغ، والدجالين الأفاكين، وبشكل عام، كل أولئك الذين يؤدون وظائفهم في تقسيم دنيء للمهن بينهم من أجل الدفاع عن المجتمع البرجوازي الغربي، والذين يحاولون بشتى الطرق، وبواسطة حيلٍ مشينة، تشتيت قوى التقدم - حتى لو كان ذلك يعني إنكار إمكانية التقدم نفسها - جميعهم أدواتٌ للرأسمالية. جميعهم، علانيةً أو سرًا، مؤيدون للاستعمار الناهب، جميعهم مسؤولون، جميعهم حاقدون، جميعهم تجار رقيق، جميعهم من الآن فصاعدًا مسؤولون أمام عنف العمل الثوري.

واقضوا على جميع المُعمِّين على وطامسي الحقائق، جميع مُبتدعي الذرائع الواهية، والدجالين والمُخادعين، وتجار الترهات اللفظية.

ولا تسعوا لمعرفة ما إذا كان هؤلاء السادة، في دخيلتهم، صادقين مع أنفسهم وما يظهر عنهم أم هم كاذبين، ولا لمعرفة سواء هم يحملون مقاصد نهائية لأفعالهم حسنة أم خبيثة.
ولا سواء أكانوا على الصعيد الشخصي ـ أي في الضمير الشخصي الخاص لـ«فُلَانٍ أو عَلَّانٍ» منهم ـ هم استعماريين أم غير استعماريين، لأن الأمر الأساسي هو أن حسن النية الذاتي عندهم والإشكالي للغاية لا علاقة لها إطلاقًا بالآثار الاجتماعية الموضوعية للعمل الشرير الذي يقومون به ككلاب للاستعمار.

وفي هذا السياق، أستشهد بأمثلة (مأخوذة عمدًا من تخصصات مختلفة تمامًا):

* - من بيير غورو، كتابه "الأراضي الاستوائية"، الذي يُطرح فيه، وسط بعض الملاحظات الصحيحة، أطروحة أساسية متحيزة وغير مقبولة، مفادها أنه لم تكن هناك قط حضارة استوائية عظيمة، وأن الحضارات العظيمة لم توجد إلا في المناخات المعتدلة، وأن بذرة الحضارة في كل بلد استوائي تأتي، ولا يمكن أن تأتي إلا، من مكان آخر خارج المناطق الاستوائية، وأنه إذا لم تكن البلدان الاستوائية ترزح تحت وطأة

"اللعنة البيولوجية" التي يفرضها العنصريون الاستعماريون البيض عليها، فإنها على الأقل تخضع ل"لعنة جغرافية" لا تقل عنها أثراً، وتؤدي إلى النتائج الكارثية ذاتها.

* - من القس تيمبلز، المبشر والبلجيكي، و"فلسفة البانتو" Bantu philosophy الخاصة به،
التي تتسم باللزوجة والنتانة إلى أقصى حد يمكن تصوره، ولكنها تم إعادة اكتشافها الآن في التوقيت المناسب تمامًا، كما اكتُشفت الهندوسية من قبل "باحثين" آخرين، من أجل مواجهة "المادية الشيوعية" التي، على ما يبدو، تهدد بتحويل السود إلى "متشردين أخلاقيين".

(من المترجم : الكاتب يشير ل"إعادة الاكتشاف" الغربية -مع بدء الحرب الباردة- لكتابات غربية عن أديان وعقائد أفريقيا ما قبل توسع المسيحية والإسلام. والتي تُكتَشف لتقول سياسيا وفكريا: أن الزنجي الأفريقي إن لم يلتزم بهاتين الديانتين الواسعتي الإنتشار، فليلتزم بتلك الفلسفات الأقدم، ولا يذهب الى "المادية التاريخية" الملحدة 😀 مع العلم أن كاتب "فلسفة البانتو" هو مسيحي كاثوليكي متطرف متزمت يؤمن بفساد كل ما هو ليس مسيحي وكل ما هو ليس كاثوليكي تحديدا.😂

وفي الحقيقة فهذا فعل "إمبريالي" غربي عام وواسع النطاق طوال زمن "الحرب الباردة" 1945-1990، حيث كانت أداة

مركزية من أدوات الحرب "العقائدية" الغربية - الغرب بقيادة واشنطن الآن وليس أوروبا - في تلك الحرب الباردة هي تشجيع "الأديان التقليدية"، أيا كانت هذه، ضد "الشيوعية الملحدة".
سياسة غربية - بقيادة واشنطن - عبر العالم كله.
ووقع في حبائل تلك السياسة كثير وكثير من "مُنظِّري العالم-ثالثية" في القرن ال20 بما خدم الهدف الأمريكي والغربي العام. فالفكرة ليست في "الدين" في ذاته أو "اللادين" في ذاته، وإنما في "المسار السياسي" الذي أنت تستخدم فيه هذه "الثقافاوية".
الثقافاوية - بكل تنوعاتها وتناقضاتها ضد بعضها - ممكن استخدامها في الشيء "السياسي"، وفي ضده التام! وستجد تبريرات "ثقافاوية" لكل "انحياز سياسي أصلي" عادي جدا!)

* - من مؤرخي أو روائيي الحضارة (هما نفس الشيء!) - ليس من هذا أو ذاك، بل من جميعهم، أو معظمهم - انتبه ل:
موضوعيتهم المزيفة، و شوفونيتهم *chauvinism*، وعنصريتهم الخفية، وشغفهم المنحرف برفض الاعتراف بأي جدارة في الأعراق غير البيضاء، وخاصة الأعراق ذات الجلد الأسود، وهوسهم باحتكار كل المجد لعرقهم هم.

* - من متخصصي ما يسمى "علم النفس" و "علم الاجتماع" وبقية هذه "العلوم" المزعومة، انتبه ل:
آراؤهم حول "البدائية"، ودراساتهم المُلفَّقة، وتعميماتهم التي تخدم مصالحهم الذاتية، وتأملاتهم النظرية المتحيزة،
وإصرارهم على الطابع الهامشي و"المنفصل" لغير البيض، ومع أنّ كلّاً من هؤلاء السادة الباحثين يزعم - بُغية الطعن، من موقع سلطة معرفية أعلى، في تهافت الفكر البدائي - أنّ فكره الخاص يستند إلى أكثر الأسس العقلانية رسوخاً، إلا أن مسلكهم الهمجي في دحض مقولة ديكارت -نُصرة لقضيتهم- يمثل طعنة في ميثاق النزعة الكونية؛
تلك المقولة الديكارتية التي تنصُّ على أنَّ «العقل... يوجد كاملاً وغير منقوص لدى كلّ إنسان»، وأنَّه «حين يتعلق الأمر بأفراد ينتمون إلى النوع نفسه، فقد تتفاوت درجات صفاتهم العَرَضية، ولكن ليس ثمة تفاوت في قوالبهم أو طبائعهم الجوهرية». (7)

لكن دعونا لا نتسرع في شرح موضوعنا. ومن المفيد أن نتتبع بعضًا من هؤلاء السادة "الباحثين".

ولن أسهب في الحديث فيما يخص المؤرخين، لا عن مؤرخي الاستعمار ولا عن متخصصي "علم المصريات". فحالة الأولين واضحة للغاية، أما بالنسبة للثانيين، فقد فند الشيخ أنتا ديوب بشكل قاطع الآلية التي يضللون بها قراءهم في كتابه "الأمم الزنجية والثقافة" *Nations negres et culture*، وهو

الكتاب الأكثر جرأة الذي كتبه زنجي حتى الآن، والذي سيلعب بلا شك دورًا هامًا في نهضة أفريقيا. (8)

(من المترجم : لاحظ أن صراع "خبراء علم المصريات" مع "الزنوجة" مستمر الى اليوم! كصراع "ثقافاوي"!
صراع ثقافاوي أصله من الغرب! ومنه دخل إلى هلاوس النقاش "الثقافاوي" المصري-المصري المعاصر عن "مصر القديمة". ككل شيء عندنا: هو يأتي من الغرب!
لكن ما تضيفه فقرة الكاتب حقا هو فهم تاريخي للأمر أن:
جماعة "الزنوجة" كانوا في حقيقتهم "يردون على" كتابات غربية سابقة عليهم تساءلت عن سبب وجود "حضارة" في مصر القديمة -الصحراوية- وعدم وجودها في افريقيا الاستوائية الزنجية جنوب الصحراء.
هكذا كان بدأ الأمر!)

لكن دعوني أعود قليلا إلى الوراء، إلى السيد بيير غورو تحديدًا.
(من المترجم: ملاحظة عامة، عندما يرفق الكاتب اسم أي شخص بكلمة "السيد" قبلها فهذا يعني ان هذا الشخص هو معاصره وأنه على قيد الحياة ساعة نشر الكتاب.
كنوع من "النفاق الأدبي" الذي يفعله الكُتّاب عموما عند نقدهم لمعاصريهم لكن في نفس الوقت يدّعون احترامهم.)

هل أنا بحاجة للقول إنّ هذا العالِم المرموق ينظر من برجه العاجي المشيد إلى السكان الأصليين، الذين ***«لم يُسهِموا بشيء»*** في تطوير العلم الحديث؟ وأنه لا ينتظر خلاص البلدان الإستوائية من خلال جهود هؤلاء السكان، ولا من نضالهم التحرري، أو كفاحهم الملموس من أجل الحياة والحرية والثقافة، بل ينتظره من المستعمِر الصالح؛ إذ ينصُّ القانون الطبيعي حتماً وبشكل قاطع على أنّ ***"العناصر الثقافية التي تطورت في المناطق غير الإستوائية، هي التي تَضمن وسوف تَضمن تقدّم المناطق الإستوائية نحو كثافة سكانية أكبر وحضارة أرفع"***.

لكنني قد ذكرتُ أيضا أن كتاب السيد غورو يتضمن بعض الملاحظات الصحيحة،
حيث كتبَ في معرض تقييمه لحصيلة الاستعمار: ***«إنَّ البيئة الإستوائية والمجتمعات الأصلية قد عانَتْ من إدخال تقنيات غير ملائمة لها، ومن أعمال السُّخرة، وخدمات الحِمالة، والعمل القسريّ، والعبودية، ومن نَقْل العمال من منطقة إلى أخرى، والتغيراتِ المفاجئة في البيئة البيولوجية، ومن ظروف مستحدثة وخاصة هي أقلّ ملاءمة للأصل»***.

يا له من سجل رائع!
بإمكانك توقع التعبير على وجه رئيس الجامعة عند قراءة ذلك!
ويا له من تعبير على وجه وزير الحكومة عندما يقرأ ذلك! لقد

نسى رجلنا غورو نفسه وأطلق العنان لنفسه؛ الآن نحن في ورطة؛ سيَكشِف غورو كل شيء؛
بدأ قائلاً: ***"تجد الدول الحارة النموذجية نفسها أمام المعضلة التالية: الركود الاقتصادي مع حماية السكان الأصليين أو التنمية الاقتصادية المؤقتة لكن مع تراجع السكان الأصليين."***
"سيد غورو، الأمر في غاية الخطورة! أُوجه إليك تحذيرًا جادًا: في هذه اللعبة، مستقبلك المهني هو على المحك."

لذا يختار رجلنا غورو التراجع والامتناع عن توضيح أنه، إن كانت هذه المعضلة التي ذكرها قائمة، فهي لا تقوم إلا في إطار النظام العالمي الراهن؛ وإذا كان هذا التناقض الذي ذكره يمثل قانوناً طبيعيًا حديدياً، فهو ليس سوى القانون الحديدي للرأسمالية الاستعمارية القائمة، وبالتالي قوانين تتحدث عن مجتمع ليس فانياً فحسب، بل هو بالفعل في طور الفناء.
يا لها من جغرافيا ملوثة فاسدة تلك الموجودة في عالمنا!

إن كان هناك ما هو أفضل من غورو، فهو الأب تيمبلز البلجيكي صاحب "فلسفة البانتو".
فلينهبوا ويعذبوا في الكونغو، وليقم المستعمر البلجيكي بالاستيلاء على جميع الموارد الطبيعية، وليقم بسحق كل حرية، وليقم بسحق كل كبرياء - وليمضِ بسلام، فالأب الموقر تيمبلز يوافق على كل ذلك. ولكن احذر! هل أنت ذاهب إلى الكونغو؟ عليك باحترام - لا أقول احترام ممتلكات السكان الأصليين (فقد

تعبر الشركات البلجيكية الكبرى هذا طعناً فيها)، ولا أقول احترام حرية السكان الأصليين (فقد يظن المستعمرون البلجيكيون أن هذا حديث تحريضي لاثارة الفوضى ويعاقب عليه القانون)، ولا أقول احترام الأمة الكونغولية (فقد تستاء الحكومة البلجيكية من ذلك كثيراً) - بل أقول: هل أنت ذاهب إلى الكونغو؟ إذا احترم "فلسفة البانتو" البلجيكية للأب الموقّر!

يكتب القس الموقر تمبلز:
"سيكون من الفظيع حقًا أن يُصرّ المُعلِّم الأبيض على تدمير الروح الخاصة للإنسان الأسود، وهي الحقيقة الوحيدة التي تمنعنا من اعتباره كائنًا أدنى منا. ستكون جريمة ضد الإنسانية، من جانب المُستعمِر، أن يدفع لتحرير الأعراق البدائية مما هو صحيح، مما يُشكّل جوهر الحقيقة في فكرهم التقليدي، إلخ."

يا له من كرم منك، أيها الأب الموقر! ويا له من حماس!

والآن، إعلم يا أخينا أن الفكر البانتوي هو في جوهره أنطولوجي/من علم الوجود؛ وأن الوجود البانتوي قائم على مفاهيم أساسية حقًا، وهي قوة الحياة وتسلسل هرمي لقوى الحياة؛ وأن النظام الوجودي الذي يُعرِّف العالم عند البانتو هو يأتي من الله، وباعتباره مرسومًا إلهيًا، يجب احترامه. (9)
رائع! الجميع رابح: الشركات الكبرى، والمستعمرون،

والحكومة البلجيكية. الجميع رابحون باستثناء شعوب البانتو ذاتها، بالطبع.

وبما أن الفكر البانتوي هو وجودي/أنطولوجي، فإنهم لا يطلبون سوى إشباعًا وجوديًا/أنطولوجيًا.
أجور كريمة؟!
مساكن مريحة؟!
طعام؟!
هؤلاء البانتو هم أرواح نقية! أقول لكم:
"ما يرغبون فيه أولًا وقبل كل شيء ليس تحسين وضعهم الاقتصادي أو المادي، بل اعتراف الرجل الأبيض واحترامه لكرامتهم كبشر، وقيمتهم الإنسانية الكاملة."

باختصار، أنت تُحيِّي قوة حياة البانتو، وتُومئ برأسك إلى روح البانتو الخالدة. وهذا كل ما في الأمر!
عليك أن تُقرّ بأنك تفلت بغنائمك في مقابل أقل تضحية ممكنة!

أما الحكومة البلجيكية، فلماذا تشتكي؟ فكما يُشير القس تيمبلز بارتياح واضح، ***"منذ أول اتصال لهم بالرجال البيض، نظر إلينا البانتو من وجهة النظر الوحيدة الممكنة بالنسبة لهم، وجهة نظر فلسفتهم البانتوية"***
و **"دمجونا في تسلسل قوى حياتهم على مستوى عالٍ جداً"**

بمعنى آخر، رتّب الأمور بحيث يأخذ الرجل الأبيض، وخاصة البلجيكي، وبالأخص ألبرت أو ليوبولد، مكانه على رأس تسلسل قوى حياة البانتو، وبذلك تكون قد حققت غايتك.
ستكون قد حققت هذه المعجزة: *إله البانتو سيتحمل مسؤولية النظام الاستعماري البلجيكي، وأي واحد من شعوب البانتو يجرؤ على رفع يده ضده سيُعتبر مُذنبًا بالتدنيس ضد الهه.*

(من المترجم :
هذه الفلسفة الاستعمارية - والأمريكية تاليا في ظل الحرب الباردة - في استغلال الدين/التقاليد -او الادق استغلال تفسير مزعوم للدين/التقاليد!- خدمة لها ليس حصريا ل"البانتو"! بل شاملة كل الأديان والتقاليد! كلها قاطبة.
فقط صوِّر الاستعماري الأبيض ك"محترم لثقافتك المحلية الخاصة"، وأنه في تفسير ديني ما هو "خليفة الله على الأرض" وأنت اذا تُمتِّن الاستعمار، والهيمنة الأمريكية تاليا.
وكل "كافر" بذلك التفسير الغربي والمتغرِّب للترتيب الهيراريكي الطبيعي وفق الدين المحلي سيصبح كافر بالهه وبدينه وبعادات قومه! وكافر حتى ب"المصلحة المادية" لشعبه!
وأعيد وأكرر:
كل هذا لم ينتهي استخدامه مع انتهاء زمن "الاستعمار الأوروبي"! فالاستعمار الأوروبي هو فقط "تطوّر شكله" -بزعامة واشنطن اليوم- لكن مضمونه وجوهره قائم الى اليوم)

أما السيد أوكتاف مانوني، فبالنظر إلى كتابه وملاحظاته حول "روح مدغشقر"، فهو جدير بأن يُؤخذ كلامه على محمل الجد.

تابعه خطوة بخطوة عبر خبايا حيله السحرية الصغيرة، وسيُثبت لك بوضوح تام أن الاستعمار قائم على علم النفس، وأن هناك في هذا العالم جماعات من البشر، لأسباب مجهولة، يعانون مما يُمكن تسميته ب"عقدة التبعية" كعقدة نفسية خالصة، وأن هذه الجماعات البشرية هي مُهيأة نفسيًا للتبعية؛ وأنهم بحاجة إلى التبعية، وأنهم يتوقون إليها، وأنهم يطلبونها برجاء، بل ويطالبون بها بقوة؛ وأن هذا هو حال معظم الشعوب المُستعمَرة، وشعب مدغشقر على وجه الخصوص.

لا للعنصرية! لا للاستعمار! إنهما يفيضان بالهمجية!
لكن لدى السيد مانوني ما هو أفضل: التحليل النفسي!
مُطعّمًا لها بالوجودية، يُعطيك نتائج مذهلة:
تُعاد صياغة أكثر الكليشيهات ابتذالًا وتُصبح جديدة تمامًا؛
وتُفسَّر وتُبرَّر أكثر الأحكام المسبقة بجهل على الناس سخافة؛
وكأنها سحر، حيث يتم تحويل القمر إلى جُبْن أخضر اللون.

لكن استمع إليه:
"إن مصير الغربي هو مواجهة الالتزام الذي فرضته الوصية من سفر التكوين: لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ. هذا الالتزام غير مفهوم للمدغشقري. في مرحلة معينة من نموه، يكتشف كل

أوروبي في نفسه الرغبة في كسر قيود التبعية، ليصبح مساوياً لأبيه. أما المدغشقري، فلا! فهو لا يختبر التنافس مع سلطة الأب، أو "الاحتجاج الرجولي"، أو الشعور بمفهوم "الدونية الأدلرية" Adlerian inferiority المحفز للنضج - أو المحن العديدة التي يجب على الأوروبي اجتيازها والتي تشبه أشكالاً حضارية من طقوس البلوغ التي يحقق بها المرء الرجولة"

لا تدع دقة المفردات، والمصطلحات الجديدة، تخيفك! أنت تعرف العبارة القديمة: **"الزنوج هم أطفال كبار"**.
إنهم يكررونها، ويزينونها لك، ويعلقونها فوق رأسك كدمية. والنتيجة هي مانوني. مرة أخرى، اطمئن! في بداية الرحلة، قد تبدو صعبة بعض الشيء، ولكن بمجرد وصولك إلى هناك، سترى أنك ستجد كل ما تحتاجه. لن ينقصك شيء، ولا حتى *"عبء الرجل الأبيض"* الشهير. لذلك، أنصت جيدًا: ***"من خلال هذه المحن"*** (المخصصة للغربيين)، ***"يتغلب المرء على الخوف الطفولي من الهجر ويكتسب الحرية والاستقلال، وهما أثمن ما يملكه المرء، وهما أيضًا أعباء الإنسان الغربي."***

ستسأل : وماذا عن المدغشقري؟ سيردُّ عليك كبلينغ: ***"إنهم عِرْق كاذب من العبيد"***.
(من المترجم : روديارد كبلينغ هو الشاعر والروائي البريطاني الشهير. وهو مؤلف قصيدة **"عبء الرجل الأبيض"** 1899،

المتزامنة مع الأعمال الاجرامية الواسعة للولايات المتحدة في الفلبين، بعدما أخذتها واشنطن بالقوة من مملكة اسبانيا في السنة السابقة. وكانت واشنطن وعدت - أو ادّعت أنها وعدت! - الفلبينيين بأنها تحارب لأجل تحريرهم من الإسبان، ثم نزلت عليهم قتلا وسحقا، وحتى إبادة لمجتمعات/قوميات معينة اعتبروا انها "متمردة بطبيعتها" أو "متخلفة بطبيعتها". شاملا كثيرا من المسلمين في الجنوب الفلبيني.

أما كبلينغ فهو يُعرف باختصار ك"شاعر الامبراطورية البريطانية" وأخذ "نوبل للأدب" في 1907، أول كاتب بالإنجليزية يحصل عليها. وهو مؤلف الرواية الشهيرة في الغرب - وبين المتغرّبين في القرن ال20 - ***"كيم"*** التي تحدث قصتها - أثناء زمن "اللعبة الكبرى" ضد روسيا - في الهند/الراج البريطانية، والتي أحبها - بل وعشقها عشقًا - كل ضباط الاستخبارات البريطانيين والأمريكان في القرن ال20.

ارجع لترجمتي السابقة: ***"المنافسة الكبرى، ضباط السي-آي-ايه العروبيون وتشكيل الشرق الأوسط المعاصر"***.

إدوارد سعيد اعتبر روايات كبلينغ أنها **"التعبير الأسمى عن "الاستشراق"**/تصور الغربيون ل"الشرق" وصُنْعِهم له على صورتهم هم. حيث فيها يدّعي البطل الصبي البريطاني وصاحب المغامرات الاستخباراتية لصالح التاج البريطاني أنه "مواطن محلي" في الهند. لهذا السبب أحبها ضباط الاستخبارات الغربيون كثيرا. بل كبلينغ كان صديق لهم، شاملا صداقة عائلة الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت وأبنائه. مثل

ابنه الأديب والمحارب مع البريطانيين في العراق ضد العثمانيين كيرميت روزفلت، صاحب ***"حرب في جنة عدن"***.)

لكن السيد مانوني الفرنسي وصاحب "علم النفس" يقدم تشخيصه الخاص به: ***"المدغشقري لا يحاول حتى تخيل مثل هذا الوضع من الهجر من سيده... هو لا يرغب لا في الاستقلال الشخصي ولا في تحمل المسؤولية بحرية."***

هيا، أنت تعرف كيف تسير الأمور حقًا.
هؤلاء الزنوج لا يستطيعون حتى تخيل ما هي الحرية. إنهم لا يريدونها، ولا يطالبون بها. إنهم فقط المحرضون من البيض هم من زرعوا ذلك في رؤوسهم. ولو أعطيتهم إياها، لما عرفوا ما يفعلون بها.

وإذا أشرتَ إلى السيد مانوني بأن سكان مدغشقر - ورغم كل تنظيراته النفساوية - هم بالفعل قد ثاروا عدة مرات منذ الاحتلال الفرنسي، ومرة أخرى مؤخرًا في عام 1947، فإن السيد مانوني، المتمسك بمقدماته، سيشرح لك أن هذا سلوك عصابيّ بحت، وجنون جماعي وحالة هياج عارمة running amok ؛ وأنه، علاوة على ذلك، لم يكن الأمر في هذه الحالة مسألة سعي سكان مدغشقر لتحقيق أهداف حقيقية بل هو مجرد سعي منهم ل***"أمن وهمي"***، مما يعني بوضوح أن الاضطهاد الذي يشكون منه هو مجرد اضطهاد وهمي.

شيء وهمي واضح جدا في وهميته، إلى درجة الجنون، لدرجة أنه يمكن للمرء أن يتحدث عن نكران للجميل رهيب في درجته، وفقًا للمثال الكلاسيكي عن الفيجي - من جزيرة فيجي - الذي أحرق سقيفة التجفيف للقبطان الذي أنقذه وشفاه من جراحه.

(من المترجم :

أنا كتبت running amok لأنها كلمة مهمة. amok هي كلمة من أصل من اللغة المالاوية - اللغة الأقدم والأم للماليزية المحدثة - وتم إدخالها للغة الانجليزية - بريطانيا كانت مستعمِرة الاقليم - ومنها للفرنسية على ما يبدو. أدخلوها بمعنى لها : أحداث عنف - عنف جماعي غالبا - مجنونة مرتبطة ب"الشرقيين" كأعراق ويصعب على الغربي "المتحضر" فهم هذا الجنون. رغم أن أصلها الحقيقي لا ترتبط بأي "عنف"، بل هي "شعيرة انتحار دينية" من الدين الهندوسي أو أحد طوائفه.

أنا عرفت هذا من خلال ترجمتي السابقة : ***"منهج جاكارتا، الحملة الصليبية للولايات المتحدة الأمريكية ضد الشيوعية وبرنامج الإبادة الجماعية اللذان شكّلا عالمنا"***

وجزيرة مدغشقر - ورغم جغرافيتها الافريقية - شعبها ذي صلة ثقافية أكبر بالمحيط الهندي وبمنطقة جنوب-شرق آسيا.

أما قصة "الفيجي" فيستخدمها سيزير للإشارة لادعاءات مؤيدي الاستعمار أن الشعوب المستعمَرة تعاني من عُصاب متأصل فيها أو عداء غير عقلاني تجاه المحسنين الأوروبيين إليها.)

إذا انتقدتَ الاستعمار الذي يدفع أكثر الشعوب سلمًا إلى اليأس، فسيشرح لك السيد مانوني أن المسؤولين في نهاية المطاف ليسوا المستعمِرين البيض، بل سكان مدغشقر المستعمَرون. اللعنة عليهم جميعا، لقد اعتبروا البيض آلهة، وتوقعوا منهم كل ما يتوقعه المرء من الآلهة!

وإذا كنت تعتقد أن المعاملة التي طُبقت على العُصاب المدغشقري كانت قاسية بعض الشيء، فإن السيد مانوني، الذي لديه إجابة لكل شيء، سيثبت لك أن الفظائع الشهيرة التي يتحدث عنها الناس مبالغ فيها للغاية، وأنها بذاتها هي محض افتراءات عُصابية، وأن التعذيب كان تعذيبًا وهميًا مارسه ***"جلادون وهميون"***. أما الحكومة الفرنسية، فقد أظهرت اعتدالًا فريدًا، إذ هي اكتفت فقط باعتقال نواب مدغشقر، بينما كان ينبغي عليها ***"التضحية بهم"***، لو هي أرادت احترام القوانين المنضبطة لعلم النفس.

وأنا لا أبالغ. هذا كلام السيد مانوني:

"سلك هؤلاء المدغشقريون دروبًا كلاسيكية، فحوّلوا قديسيهم إلى شهداء، ومنقذيهم إلى كبش فداء؛ أرادوا غسل ذنوبهم المتوهمة بدماء آلهتهم. كانوا مستعدين، حتى بهذا الثمن، أو بالأحرى بهذا الثمن فقط، لتغيير موقفهم مرة أخرى. إحدى سمات هذه النفسية التابعة تبدو أنه بما أنه لا يمكن لأحد أن يخدم سيدين، فيجب التضحية بأحدهما للآخر. كان لدى أكثر

المستعمِرين اضطرابًا في تاناناريف فهم مشوش لجوهر نفسية التضحية هذه، وطالبوا بضحاياهم. حاصروا مكتب المفوض السامي، مؤكدين له أنه إذا مُنحوا دماء بعض الأبرياء، "فسيكون الجميع راضين".
كان هذا الموقف، المشين من وجهة نظر إنسانية، مبنياً على ما كان، في مجمله، تصوراً دقيقاً إلى حد ما للاضطرابات العاطفية التي كان يعاني منها سكان الهضاب العالية."

(من المترجم :
المؤلف يعطي اهتماما كبيرا - يبدو لنا الآن أكبر مما يستحق - بهذا المشعوذ مانوني ، بل المريض النفسي المضحك 😂
لكن لازم تبص للزمن، هذا المانوني ربما كان واحدا من أبرز "النخبة المثقفة والتقدمية" في عام 1950 في فرنسا!)

ومن الواضح أنه لم يبقَ بعد هذا سوى خطوة واحدة تؤول إلى تبرئة المستعمرين سفاكي الدماء.
إن "علم النفس" عند السيد مانوني هو "محايد" و"حر" بقدر "الحياد" و "الحرية" في جغرافية السيد غورو أو في اللاهوت التبشيري للقس تيمبلز!
والأمر اللافت للنظر الذي يجمعهم جميعًا هو المحاولة البرجوازية المستمرة لاختزال أكثر المشاكل الإنسانية تعقيدًا إلى مفاهيم جوفاء مريحة: فكرة "عقدة التبعية النفسية" عند مانوني، و"الفكرة الأنطولوجية" عند القس تيمبلز، والفكرة

"الاستوائية" عند غورو. وماذا حلّ ببنك الهند-الصينية في خضم كل هذا الهراء؟
وببنك مدغشقر؟ وبالسوط؟ والضرائب؟ وحفنة الأرز التي تُقدّم للمدغشقري أو الناك nhaque؟ (10) والشهداء؟ والأبرياء الذين قُتلوا؟ والأموال الملطخة بالدماء التي تتراكم في خزائنكم، أيها السادة؟ لقد تبخروا! اختفوا، واختلطوا، وأصبحوا غير قابلين للتمييز في عالم الاستدلالات الباهتة.

(من المترجم: مصطلح nhaque الفرنسي هو كلمة شعبية - تستخدم في الشوارع - فرنسية كانت تستخدم للإشارة إلى الفيتناميين. وهي من أصل فيتنامي، وتعني ببساطة ابن الريف. تعريف القوم بمهنتهم. ازدراءًا لهم.
مثلها مثل كلمة fellah الفرنسية سابقة الذِكر، والتي تعني فلاح. والتي يبدو أنها دخلت للقاموس الفرنسي نتيجة الحملة الفرنسية على مصر.)

لكن ثمة أمر مؤسف لهؤلاء السادة الفاضلين، وهو أن أسيادهم البرجوازيين باتوا أقل استجابةً لحججهم الملتوية ومحكوم عليهم أكثر فأكثر بالابتعاد عن هؤلاء النوعية والإشادة بآخرين أقل دهاءً وأكثر وحشية.
وهذا تحديدًا ما يمنح السيد إيف فلورين فرصة. وبالفعل، ها هي عروض خدمته الصغيرة تأتيك مرتبة بعناية على طبق صحيفة لوموند. لا مجال للمفاجآت هنا؛ فهي مضمونة تماماً،

ومثبتة الفعالية، ومجربة بالكامل بنتائج حاسمة. ها نحن أمام شكل من أشكال العنصرية، عنصرية فرنسية لم يشتد عودها بعد، هذا صحيح، لكنها واعدة.

استمعوا إلى الرجل نفسه:

«إن قارئتنا» (وهي معلمة امتلكت الجرأة لتفنيد آراء السيد فلورين سريعة الانفعال)، **«... وهي تتأمل تلميذتيها الشابتين من ذوات العرق المختلط، يتملكها شعور بالفخر وهي تلمس تنامي وتيرة الاندماج في عائلتنا الفرنسية... ولكن، هل ستكون ردة فعلها هي نفسها لو رأت، على العكس من ذلك، فرنسا تندمج في العائلة السوداء (أو الصفراء أو الحمراء، لا فرق)، أي لو رأت فرنسا تذوب وتتلاشى؟»**

من الواضح أن العِرْق هو ما يصنع فرنسا في نظر السيد إيف فلورين، وأن أسس الأمة هي أسس بيولوجية: **"شعبها، وعبقريتها، مبنيان على توازن عمره ألف عام، وهو في الوقت نفسه قوي وهش، و... تتزامن بعض الاضطرابات المقلقة لهذا التوازن مع التدفق الهائل والخطير في كثير من الأحيان للدماء الأجنبية الذي اضطرت إلى تحمله على مدى الثلاثين عامًا الماضية."**

باختصار، تمازج الأعراق هو العدو. لا مزيد من الأزمات الاجتماعية ولا مزيد من الأزمات الاقتصادية**!** لم يتبقَّ سوى الأزمات العرقية**!**

بالطبع، لا تفقد النزعة الإنسانية شيئًا من هيبتها بذلك (فنحن هنا في العالم الغربي في نهاية الحال) ولكن دعونا نتفهم بعضنا بعضًا: **"ليس بالذوبان في العالم الإنساني، بدمائه وروحه، ستكون فرنسا عالمية، بل بالبقاء على هويتها."**

هذا ما آلت إليه البرجوازية الفرنسية، بعد خمس سنوات من هزيمة هتلر. وفي ذلك تحديدًا يكمن عقابها التاريخي: أن تُدان، فتعود إليه كأنَّما تسوقها غريزة قهرية، لتمضغ قيء هتلر.

لأن السيد إيف فلورين، في نهاية المطاف، كان لا يزال منشغلاً بروايات الفلاحين و"مسرحيات الأرض" وقصص الحسد، بينما كان هتلر، بعينٍ أشد حسداً من تلك التي يحملها بطلٌ ريفي في إحدى حكايات السحر، يعلن: ***"إن الهدف الأسمى للدولة الشعبية هو الحفاظ على العناصر الأصلية للعرق التي، من خلال نشر الثقافة، تخلق جمال وكرامة إنسانية متفوقة."***
يدرك السيد إيف فلورين هذه الصلة المباشرة.
وهو أبعد ما يكون عن الشعور بالحرج منها.
حسناً. هذا حقه.
كما أنه ليس من حقنا أن نستنكر ذلك.
لأنه، في نهاية المطاف، يجب أن نستسلم للأمر الواقع وأن نقول لأنفسنا، مرةً وإلى الأبد، إن البرجوازية الأوروبية محكوم عليها أن تصبح يوماً بعد يوم أكثر شراسةً، وأكثر وحشيةً، وأكثر وقاحةً، وأكثر همجيةً بشكلٍ فوري.

يجب أن نستسلم للأمر الواقع وأن نقول لأنفسنا، مرةً وإلى الأبد، أنه قانون لا يلين أن كل طبقة منحطة تجد نفسها تتحول إلى وعاء تتدفق إليه كل مياه التاريخ القذرة؛ وأنه قانون عالمي أنه قبل أن تختفي، يجب على كل طبقة أن تلطخ سمعتها أولاً تمامًا، على جميع الجبهات، وأن المجتمعات المحتضرة تغني أغانيها الأخيرة بينما رؤوسها مدفونة في مزبلة الروث.

ملف الاستعمار - والمدافعين عنه - هو ملف مُذهل حقًا.

وحش كاسر يسفك الدماء ويزرع الموت بفعل ممارسة بديهية لحيويته ،
وتذكرون جيداً أنه في صورة هذا النموذج البدائي الضاري، الرأسمالية الأوروبية تجلت تاريخياً للمرة الأولى أمام أسمى العقول والضمائر الحية.

منذ ذلك الحين، أصبح هذا الحيوان ضعيف القُوى، يفقد شعره، ولم يعد جلده لامعًا برّاقًا، لكن الشراسة الوحشية بقيت، ممزوجة بالسادية. من السهل إلقاء اللوم على هتلر. على روزنبرغ. على يونغر أو غيرهم. على الـ SS.

لكن ماذا عن هذا: "كل شيء في هذا العالم تفوح منه رائحة الجريمة: الصحيفة، الجدار، وجه الإنسان."
قال شارل بودلير ذلك، قبل ولادة هتلر.
مما يثبت أن للشر مصدرًا أعمق.
بل وحتى إيزيدور دوكاس، الكونت دي لوترِيامون! (11)
(من المترجم : هذا الشخص الأخير هو فرنسي ذو أصل أوروغواياني، كان كتب - في القرن ال19 - "أغاني مالدورور"، عملا أدبيا أساسيا من الأعمال المؤسسة للمدرسة

الأدبية : "السريالية".
وكاتبنا سيزير كان منضوي بنشاط في تلك المدرسة السيريالية الأوروبية.)

في هذا السياق، حان الوقت لتبديد جوّ الفضيحة الذي أحاط بـ"أغاني مالدورور".
وحشية؟ نيزك أدبي؟ هذيان خيال مريض؟ هيا، ما أنسب هذا التفكير لكم!
الحقيقة أن لوتريامون كان عليه فقط أن ينظر إلى الرجل الحديدي الذي صنعه المجتمع الرأسمالي مباشرةً في عينيه ليرى **الوحش**، وحش الحياة اليومية، بطله.

لا أحد ينكر صدق واقعية بلزاك.
ولكن تمهل قليلاً: خُذ شخصية «فوتران» من بلزاك، واجعلْه عائداً للتو من المناطق الإستوائية، وامنحه أجنحة رئيس الملائكة ورعشة الملاريا، ودعْه يسير في شوارع باريس محاطاً بحاشية من مصاصي الدماء الأوروغوايانيين والنمل آكل اللحوم، وحينها ... ستحصل على مالدورور. (١٢)

تغيرت البيئة، لكنه العالم نفسه، والرجل نفسه، قاسٍ، متصلب، عديم الضمير، مولع، إن وُجد رجل قبله كحاله، بـ"لحم الرجال الآخرين".

وبالمناسبة، أعتقد أن سيأتي اليوم الذي، بعد جمع كل العناصر، وتحليل كل المصادر، وتوضيح كل ظروف العمل، سيكون من الممكن فيه إعطاء "أغاني مالدورور" تفسيرًا ماديًا وتاريخيًا يكشف عن جانب غير ملتفت إليه على الإطلاق في هذه الملحمة الهائجة؛ ألا وهو تفنيدها الصارم والضاري لنمط مجتمعي محدد للغاية، وهو ما لم يكن ليفلت من أنظار أشد العقول فطنة وقوة في حدود عام 1865.

(من المترجم : كان كاتبنا منضويًا في تيار أدبي سريالي ، وفي نفس الوقت هو ماركسي. كان ساعتها! (لا أعلم بشكل دقيق بتطورات فكره السياسي تاليا بشكل تفصيلي.)
وكان هناك بالفعل تيار أدبي في أوروبا - في النصف الأول من القرن ال20 - يحاول الجمع بين الماركسية وبين السريالية.
وهو ما لم يسر بالتحديد بشكل سلس تاليا لذلك الزمن!
السريالية ذاتها - وكل الفنون "العجائية الغرائبية" - استُخدِمت دعائيا غربيا كنقيض للماركسية، كنقيض للالتزام بمدرسة "الواقعية الاشتراكية" الأدبية.
لكن كما أسلفت في مواضع عدة سابقة: كاتبنا هو من فريق لم يكونوا رأوا بعد حقيقة "الحرب الباردة" في ذلك الزمن!
أعني: لم يكونوا رأوا أن هناك شيء كهذا -الحرب الباردة بين واشنطن وموسكو، أو الأدق الحرب الباردة الأمريكية على الشيوعية- قد وُلِد بالفعل وهو يزداد قوة عاما بعد عام!

وبمناسبة الحديث عن "مدارس الأدب" الأوروبي في منتصف القرن ال20، سيصبح العدو "الأدبي" الأساسي لدعايات مدارس الأدب والفن والفلسفة الممولة من الـ CIA الأمريكي في أوروبا هو "سارتر" الفرنسي، صاحب مجلة "الأزمنة الحديثة"، وصاحب كتاب "ما الأدب؟" المنشور في 1948، والذي يؤكد فيه سارتر على دور الأدباء ومسؤوليتهم تجاه قضايا عصرهم ومجتمعهم. ووجوب "التزامهم".
سيُنفق الCIA الأمريكي ملايين الدولارات في أوروبا على "الأدباء" و "الفنانين" و "النقاد" لأجل تشويه سمعة سارتر، وتشويه فكرة "الأدب الملتزم".
والدعوة بدلا من ذلك الى دعم أي نوع فني لا يناقش - بشكل جدي رصين، وبشكل ملتزم - القضايا الاقتصادية-الاجتماعية.
هذا ورد ذِكره بالتفصيل في كتاب ***"من دفع للزمّار؟ الحرب الباردة الثقافية"***)

قبل ذلك، بالطبع، علينا إزالة التعليقات الباطنية والميتافيزيقية من العمل التي تحجب الطريق؛ وإعادة ترسيخ أهمية بعض الأبيات المهملة،
على سبيل المثال، ذلك المقطع الأغرب على الإطلاق، ذلك المقطع المتعلق بمنجم القمل، والذي سنرضى فيه ألا نرى فيه أكثر أو أقل من إدانة قوة الذهب الشريرة وتكديس المال؛ وإعادة حلقة الحافلة الرائعة إلى مكانها الصحيح، وأن نكون على استعداد لإيجاد ما هو موجود فيها ببساطة، أي الصورة

الرمزية بالكاد لمجتمع يرفض فيه المتميزون، الجالسون في في أماكن مريحة، التقارب مع بعضهم البعض لإفساح المجال للوافد الجديد.

وبالمناسبة، من يرحب بالطفل الذي تم رفضه بقسوة؟ الشعب! ممثلاً هنا بجامع الخرق.

جامع الخرق عند بودلير:

"هو لا يكترث لجواسيس الشرطة، يعتبرهم عبيدا عنده،
يُفيض بمشاعره في مخططاتٍ عظيمة،
يُقسم يمينًا عظيمة ويُملي قوانين سامية،
يُهلك الأشرار، ويُنصر الضحايا." (١٣)

حينئذٍ سيُفهم، أليس كذلك، أن العدو الذي جعله لوتريامون عدوًا، آكل لحوم البشر، آكل الأدمغة "الخالق"، السادي الجالس على "عرش مصنوع من براز بشري وذهب"، المنافق، الفاسق، الكسول الذي "يأكل خبز الآخرين" والذي يُعثر عليه من حين لآخر في حالة سكر شديد، سكران كبقّة شربت ثلاثة براميل من الدم خلال الليل، سيُفهم أنه ليس وراء الغيوم أن نبحث عن ذلك الخالق، بل من المرجح أن نجده في دليل مطبعة ديسفوس للأعمال التجارية وفي أحد مجالس الإدارات المريحة للشركات!

لكن لندع الأمر على حاله. لا يستطيع دعاة الأخلاق الوعّاظ فعل شيء حيال حالنا الراهن حقا.

وسواء أعجبنا ذلك أم لا، فإن البرجوازية الأوروبية، كطبقة، محكوم عليها بتحمّل مسؤولية كل همجية التاريخ، وتعذيب العصور الوسطى ومحاكم التفتيش، وإثارة الحروب واللجوء إلى منطق مصلحة الدولة raison d'Etat، والعنصرية والعبودية، وباختصار، كل ما هي احتجت عليه بعبارات لا تُنسى في ذلك الزمن الذي كانت تمثل فيه - باعتبارها الطبقة المهاجِمة - تجسيداً للتقدم البشري.

لا يستطيع الوعظ والوعاظ فعل شيء حيال ذلك.
هناك قانون لطمس الإنسانية بشكل تصاعدي تقدمي في العمل، وبموجبه لن يكون على جدول أعمال البرجوازية - أو يمكن أن يكون - سوى العنف والفساد والهمجية.

كادت الكراهية والكذب والغرور أن تُنسى.
كدت أن أنسى السيد روجيه كايوا. (14)
حسنًا إذًا: السيد كايوا، الذي أُوكِلَت إليه منذ أقدم الأزمان رسالة تعليم هذا العصر المتراخي والمائع أصول التفكير الصارم والأسلوب الرصين، لذلك، فقد استُثير غضب السيد كايوا بشدة.
لماذا؟
بسبب الخيانة العظيمة للإثنوغرافيا الغربية التي، مع تدهور مؤسف في إحساسها بالمسؤولية، تستخدم كل براعتها مؤخرًا للتشكيك في التفوق الشامل للحضارة الغربية على الحضارات غير الغربية.

والآن أخيرًا، يتولى السيد كايوا زمام المبادرة.
تتمتع أوروبا بهذه القدرة على إنجاب أبطال منقذين في أحلك اللحظات.

ولا يُغتفر لنا أن ننسى السيد هنري ماسيس، الذي انطلق، حوالي عام ١٩٢٧، في حملة للدفاع عن الغرب.
إننا نريد أن نضمن مصيراً أفضل بانتظار السيد كايوا، الذي يحول قلمه—نصرة للقضية المقدسة نفسها—إلى خنجر طليطلي صارم.
ماذا كان قال السيد ماسيس؟
لقد استنكر بشدة حقيقة أن **«مصير الحضارة الغربية، بل ومصير الإنسان نفسِه»** غدا مهدداً؛ وأنَّ ثمة محاولات تُبذَل من كل حدبٍ وصوب **«للعب على أوتار مخاوفنا، والطعن في الميزات والادعاءات المنسوبة لثقافتنا، والتشكيك في أثمن ما نملك»**، وقد أقسم على شن حرب لا هوادة فيها ضد هؤلاء **«الأنبياء المشؤومين»**.

لا يختلف السيد كايوا في تحديد العدو. إنهم أولئك "المثقفون الأوروبيون" الذين، على مدى الخمسين عامًا الماضية، "بسبب خيبة أمل ومرارة شديدتين"، "رفضوا بلا هوادة مُثُل ثقافتهم المختلفة"، والذين بذلك يحافظون، "خاصة في أوروبا، على حالة من الضيق المُزمن". وهذا الضيق، هذا القلق، هو ما يعتزم السيد كايوا، من جانبه، وضع حد له. (15)

وفي الواقع، لم يسبق لأي شخصية منذ الإنجليزي في العصر الفيكتوري أن استعرضت التاريخ بضمير أكثر صفاءً وأقل تشوشًا بالشك.
مذهبه؟ يتميز بالبساطة.
أن الغرب هو من اخترع العلم. أن الغرب وحده يعرف كيف يفكر؛ أن على حدود العالم الغربي يبدأ العالم الغامض للتفكير البدائي، الذي يهيمن عليه مفهوم المشاركة، ويعجز عن المنطق، وهو النموذج الأمثل للتفكير الخاطئ.

عند هذه النقطة، نبدأ. نذكّر السيد كايوا بأن قانون المشاركة الشهير الذي ابتكره لوسيان ليفي-برول قد رُفض من قِبل ليفي-برول نفسه؛ وأنه في أواخر حياته أعلن للعالم أنه كان مخطئًا في "محاولته تعريف سمة خاصة بالعقلية البدائية فيما يتعلق بالمنطق". بل على العكس، فقد اقتنع بأن "هذه العقول لا تختلف عن عقولنا إطلاقًا من وجهة نظر المنطق... لذلك، هم لا يستطيعون تحمل تناقض شكلي بين الأمور أكثر مما نستطيعه نحن... لذلك، هم يرفضون كما نفعل نحن، بنوع من رد الفعل الذهني، ما هو مستحيل منطقيًا." (16)

مضيعة للوقت! يعتبر السيد كايوا هذا التصحيح باطلاً ولاغياً.

فبالنسبة للسيد كايوا، لا يمكن أن يكون ليفي-برول الحقيقي إلا ليفي-برول الذي يقول إن الإنسان البدائي يتحدث هراءً محضاً.

وبالطبع، تبقى بعض الحقائق الصغيرة التي تُعارض هذه العقيدة.
وهي: اختراع المصريين القدماء للحساب والهندسة.
وهي: اكتشاف الآشوريين لعلم الفلك.
وهي: نشأة الكيمياء عند العرب.
وهي: ظهور العقلانية في الإسلام في وقت كان فيه الفكر الغربي ذا نزعة ما قبل منطقية شديدة.

لكن السيد كايوا سرعان ما يضع هذه التفاصيل غير ذات الصلة في مكانها الصحيح، لأنه من المبادئ الصارمة أن ***"الاكتشاف الذي لا يتناسب مع الكل"*** هو، تحديداً، مجرد تفصيل، أي أنه لا شيء ذو قيمة.
وكما قد تتخيل، بعد أن انطلقَ هذه الانطلاقة القوية الواعدة، السيد كايوا لا يتوقف في منتصف الطريق.

بعد أن ضمّ العلم بشكل حصري إلى الغرب، سيطالب بالأخلاق أيضًا.
تخيلوا فقط! السيد كايوا لم يأكل أحدًا قط! السيد كايوا لم يحلم قط بقتل مريض! لم يخطر ببال السيد كايوا قط تقصير أيام والديه المسنين! حسنًا، ها هي ذي هكذا هي تفوق الغرب: "نظام الحياة الذي يسعى لضمان احترام الإنسان بما يكفي بحيث لا يُعتبر من الطبيعي التخلص من كبار السن والمرضى."

الخلاصة حتمية: بالمقارنة مع آكلي لحوم البشر، ومقطعي الأوصال، وغيرهم من الأصناف الأدنى، فإن أوروبا والغرب هما تجسيد احترام كرامة الإنسان.

لكن دعونا ننتقل سريعًا - لئلا تتشتت أفكارنا - إلى الجزائر، والمغرب، وأماكن أخرى حيث - بينما أنا أكتب هذه الكلمات الآن - يُغدق العديد من أبناء الغرب الشجعان - في شبه الظلام في حجرات الزنازين - على إخوانهم الافريقيين الأدنى منهم حضارة -باهتمام دؤوب- تلك العلامات الأصيلة لاحترام الكرامة الإنسانية والتي تُسمى، من الناحية التقنية، "الكهرباء"، و"حوض الاستحمام"، و"عنق الزجاجة".
(من المترجم : أسماء لأدوات تعذيب فرنسية)

فلنواصل: لم يصل السيد كايوا بعد إلى نهاية قائمة إنجازاته البارزة. فبعد التفوق العلمي والتفوق الأخلاقي، يأتي التفوق الديني.

هنا، يحرص السيد كايوا على ألا ينخدع بالمكانة الزائفة للشرق. آسيا هي أم الآلهة، ربما. لكن أوروبا هي سيدة الطقوس. وانظروا كم هو رائع هذا التباين: فمن ناحية - خارج أوروبا - نرى طقوساً من نوع «الفودو»، بكل ما تحمله من ***«تخفٍّ مهزلي مضحك، و هستيريا جماعية، وإدمانٍ جامح على الكحول، واستغلالٍ فج لورعٍ ساذج»***، ومن ناحية أخرى -

داخل أوروبا - تلك "القيم الأصيلة" التي كان شاتوبريان يتغنى بها بالفعل في كتابه (**عبقرية المسيحية**) Genie du christianisme: ***«عقائدُ الدين الكاثوليكي وأسرارُه، وطقوسُهُ الدينية، والرموزُ الإبداعية لنحاتِيه، وأمجادُ الترنيم الكنسيِّ الفريد»***.

وأخيرًا، سبب أخير للرضا:
قال آرثر دو غوبينو، أحد مؤسسي نظرية تفوق العرق الأبيض : ***"التاريخ أبيض فقط"***. ويلاحظ السيد كايوا بدوره أن ***"الإثنوغرافيا بيضاء فقط"***. فالغرب هو الذي يدرس إثنوغرافيا الآخرين، وليس الآخرون هم من يدرسون إثنوغرافيا الغرب.

(من المترجم : "عالم الاجتماع" كايوا، ومعاصر كاتبنا سيزير، هو أساسا "ليبرالي" الميول السياسية. وكان شهير بمقاومته للنازية.
وكاتبنا يعلّق علي هؤلاء "الليبراليين التقدميين" بشكل أساسي، ليثبت أنهم في النهاية ليسوا إلا تنويعات على آرثر دو غوبينو وزمرته من المؤمنين بتفوق العرق الأبيض في القرن ال19. خصيصا في "رؤيتهم للعالم" برمته، وليس مجرد "موقف سياسي" تافه في الداخل السياسي الفرنسي التافه.
مثلهم مثل الساسة والمفكرين "الليبراليين التقدميين" في الداخل السياسي الأمريكي -ومؤيديهم المعاتيه من بني جلدتنا اليوم!- الذين يدعمون قتلنا! بالضبط كما منافسيهم من "اليمين"!)

أليس هذا مدعاةً لأعظم ابتهاج؟

والمتاحف التي يفتخر بها السيد كايوا أيّما فخر، لم يخطر بباله ولو للحظة واحدة أنه، بعد التفكير ملياً، كان من الأفضل لو لم تكن هناك حاجة إليها؛ وأن أوروبا كانت ستُحسِن صنعاً لو تسامحت مع الحضارات غير الأوروبية إلى جانبها، تاركةً إياها حيّةً، نابضةً بالحياة، مزدهرةً، كاملةً غير مشوّهة؛ وأنه كان من الأفضل لو تركتها تتطور وتُحقق ذاتها بدلاً من أن تُقدّم لنا، مُصنّفةً بشكلٍ لائق، أجزاءها الميتة والمتناثرة؛
وأن المتحف في حد ذاته هو لا شيء؛ لا معنى له، ولا يستطيع أن يقول شيئاً، عندما يُفسد الرضا المتغطرس عن الذات العيونَ، عندما يُذبِل الازدراء الخفي للآخرين القلبَ، عندما تُجفّف العنصرية، سواءً أُقرّ بها أم لا، التعاطف مع الآخرين؛
وأنه لا معنى للمتحف إذا كان غرضه الوحيد هو إشباع ملذات الغرور؛
أنه - بعد مقارنة كل شيء - كان لدى الإنسان المستقيم الذي عاصر عهد "القديس لويس"، وحارب الإسلام لكنه احترمه، فرصة أفضل لمعرفته وفهمه مما هي عليه لدى معاصرينا اليوم (حتى وإن كان لديهم إلمام سطحي بالأدبيات الإثنوغرافية)، أولئك الذين يحتقرونه.

(من المترجم : "القديس لويس" هو ذاته الملك لويس التاسع،

قائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة.
والذي أُسِر في مصر في الحملة الصليبية السابعة! ومات مرضا في الحملة الصليبية الثامنة التي كانت في تونس.

بالمناسبة، كان بين الفرنجة والمغول مراسلات دبلوماسية في زمن لويس التاسع ذاك يحاول فيها الفرنجة اقناع المغول بصنع حلف وصنع هجمات متزامنة معا لدحر الإسلام تماما. لكن المغول عمرهم ما تعاملوا مع هؤلاء الفرنجة كأناس جادين هم مستعدين للجلوس معهم على قدم المساواة. اعتبروهم أناس آخرين سيتم غزوهم هم الآخرين تاليا! لفتح مغولي للعالم كله! فتح لم يتم بالطبع، بل اثنين من كبار دول المغول تاليا - في ما تُعرف الآن ب"روسيا" و ايران - دخل حكامهم في الإسلام، لكن هذا كان بعد زمن طويل تال لزمن لويس التاسع ذاك.

وكانت بعض حملات الفرنجة الصليبية (الكاثوليكية) هذه تهبط أول ما تهبط على بيزنطة/القسطنطينية (الأرثوذكسية!) وتُخرّبها تخريبا! هم كفرة كالمسلمين! وربما هذا هو ما قوّى شوكة العثمانيين تاليا! كان البيزنطيون يوظفون العثمانيين الأوائل كجنود لهم لحمايتهم. لحمايتهم أولا من المسلمين، ثم أصبح من المسلمين-المغول ومن "الفرنجة" كليهما!)

لا، إنه - في ميزان المعرفة - لن تزن كل متاحف العالم ولو شرارة واحدة من التعاطف الإنساني.

وما هي خلاصة كل هذا؟
لنكن منصفين؛ السيد كايوا معتدل.
بعد أن أثبت تفوق الغرب في جميع المجالات، وبعد أن أعاد بذلك تأسيس تسلسل هرمي سليم وقيم للغاية، يقدم السيد كايوا دليلاً فورياً على هذا التفوق من خلال استنتاجه بأنه لا ينبغي إبادة أي أحد. معه، يضمن الزنوج أنهم لن يُقتلوا دون محاكمة؛ ويضمن اليهود أنهم لن يُطعَموا الى نيران جديدة. هناك أمر واحد فقط: من المهم أن يُفهَم بوضوح أن الزنوج واليهود والأستراليين الأصليين مدينون بهذا التسامح ليس لجدارتهم، بل لكرم السيد كايوا؛ ليس لإملاءات العلم، الذي لا يُقدّم إلا حقائق زائلة، بل لقرار من ضمير السيد كايوا، الذي لا يكون إلا مطلقًا؛ وأن هذا التسامح لا له شروط ولا ضمانات، إلا شعور السيد كايوا بواجبه تجاه نفسه.

ربما يُعلن العلم يومًا ما أن الثقافات المتخلفة والشعوب المتخلفة التي تُشكّل عبئًا ثقيلًا وعقباتٍ في طريق البشرية يجب إزالتها، لكننا على يقين أنه في اللحظة الحاسمة، سيُوقف ضمير السيد كايوا - الذي سيتحوّل في الحال من ضميرٍ واضح إلى ضميرٍ نبيل - ذراع الجلاد ويُعلن باللاتينية: طبتَ سلماً ومعافى .salvus sis

(من المترجم:
سيزير ذكر هتلر وجرائمه كثيرا في الكتاب، لكن هذه أول فقرة أراه يذكر فيها اليهود بالاسم.
ومن المهم القول - وليس لتبرئة المؤلف من شيء ما - أن هذا كُتِب في سنة 1950، وأن كل الأوروبيون - وسيزير في النهاية مواطن فرنسي - كان لديهم "انسحاق نفسي" تجاه معاناة اليهود في ألمانيا النازية.
ومن المفارقات - مثل مفارقة عدم إدراك صاحبنا سيزير أن هناك شيء اسمه "الحرب الباردة" قد بدأ وجوده - أن سيزير يتكلم عن اليهود هنا كأنهم "خارج الحضارة الغربية"!
كانت هناك بالفعل بقايا ظنون - ظنون فاسدة بالطبع! - واسعة الانتشار في الغرب في ذلك الشأن في ذلك الزمن.

بل و "الزنوج" أنفسهم تم "استيعابهم". وأحد علامات الاستيعاب هو أن كلمة "الزنجية" في الغرب أصبح لها المعنى السلبي حصرا! وممنوع استخدامها بالمعنى الإيجابي لها.
وإن كان ليس بالطبع كل الزنوج تم "استيعابهم"! ليست افريقيا الزنجية، ولا الكل من الزنوج في "الغرب"! فقط الزنوج الأثرياء! الزنوج المفيدين! ك"المحافظة" كونداليزا رايس و"الليبرالي" أوباما! وكل زنجي "يؤمن بالغرب"!
وكل إنسان - من أي عرق أو دين - يؤمن بالغرب!
وهكذا بالمناسبة "يتطور الغرب" في "هَرْسِه للبشرية" تحته!)

ندين له بهذه الملاحظة الكاشفة القيّمة :

"بالنسبة لي، لا معنى لمسألة المساواة بين الأعراق أو الشعوب أو الثقافات إلا إذا كنا نتحدث عن المساواة في القانون، لا عن المساواة في الواقع. وبالمثل، فإن الرجال المكفوفين، أو ذوي الإعاقة، أو المرضى، أو ضعاف العقول، أو الجهلة، أو الفقراء (ولا يسع المرء إلا أن يكون لطيفًا مع غير الغربيين) ليسوا متساوين، بالمعنى المادي للكلمة، مع الأقوياء، أو ذوي البصر السليم، أو الأصحاء، أو الأذكياء، أو المثقفين، أو الأغنياء. فالأخيرون يمتلكون قدرات أكبر، والتي، بالمناسبة، لا تمنحهم حقوقًا أكثر، بل واجبات أكثر فقط.

وبالمثل، سواء لأسباب بيولوجية أو تاريخية، توجد حاليًا اختلافات في المستوى والسلطة والقيمة بين مختلف الثقافات. هذه الاختلافات تستلزم عدم مساواة في الواقع. لكن لا تُبرر هذه الآراء بأي حال من الأحوال عدم المساواة في الحقوق لصالح ما يُسمى بالشعوب المتفوقة، كما يزعم العنصريون. بل إنها تُلقي على عاتقهم مهامًا إضافية ومسؤولية أكبر."

مهام إضافية؟ ما هي هذه إلا مهام حكم العالم كله؟
مسؤولية أكبر؟ ما هي إلا مسؤولية تجاه العالم برمته؟
وكايوا-أطلس يضع قدميه بثبات في التراب، ويرفع مرة أخرى على كتفيه القويتين العبء الحتمي للرجل الأبيض.

(من المترجم: "كايوا-أطلس" هو مزج من الكاتب اسم الكاتب الذي يقوم بنقده مع اسطورة "أطلس" الإغريقية، الإله المعذَّب بحمل الكرة الأرضية على كتفيه. والذي أتت منه كلمة "أطلس" كخرائط للكرة الأرضية كلها.
يستخدمها للسخرية من كايوا، ومن عبء الرجل الأبيض.)

يجب على القارئ أن يعذرني على حديثي عن السيد كايوا بهذا الإسهاب. ليس الأمر أنني أبالغ بأي شكل من الأشكال في تقدير القيمة الجوهرية ل"فلسفته"، فقد يكون القارئ قادرًا على الحكم على مدى الجدية التي ينبغي أن نُعامل بها مُفكراً يزعمُ تفانيه في خدمة المنطق الصارم، بينما يقدّم بكل رحابة صدر قرابين الطاعة للأحكام التحيزية المسبقة، ويتمرغ بكل تلذُّذٍ في كليشيهات الأفكار المبتذلة.
لكن آراءه تستحق اهتمامًا خاصًا بالفعل، لأهميتها.

أهمية ماذا؟
أهمية حالة ذهن آلاف مؤلفة من الأوروبيين، أو، بتعبير أدق، حالة ذهن البرجوازية الغربية الرثة.

وأهمية ماذا؟
أهمية هذا: أنه في الوقت الذي يُكثِر فيه الغرب من التلفظ بالكلمة بلسانه، هو لم يكن أبدًا أبعد منه الآن عن القدرة على عيش إنسانية حقيقية - إنسانية تتناسب مع العالم.

إحدى القيم التي ابتكرتها البرجوازية الأوروبية في العصور السابقة ونشرتها في جميع أنحاء العالم هي الإنسان/الإنسانية الواحدة - وقد رأينا ما آل إليه حالها. أما القيمة الأخرى فهي "الأمّة"/"الوطن" the Nation.

إنها حقيقة: الأمّة هي ظاهرة برجوازية.

بالضبط؛ ولكن إذا حولتُ انتباهي من مفهوم الإنسان إلى مفهوم الأمم، ألاحظ أن هناك خطرًا كبيرًا هنا أيضًا؛ فالمشروع الاستعماري بالنسبة للعالم الحديث هو ما كانت عليه الإمبريالية الرومانية بالنسبة للعالم القديم: مقدمة للكارثة ونذير للهلاك. انتبهوا لي الآن! الهنود ذُبحوا، والعالم الإسلامي أُفرغ من نفسه، والعالم الصيني دُنِّس وأُحُرِف لقرن كامل، والعالم الأسود أُستبعِد، والأصوات العظيمة التي صمتت إلى الأبد، والمنازل التي تشتتت في مهب الريح، كل هذا الخراب، كل هذا الهدر، الإنسانية التي اختُزلت إلى مونولوج، وتظن أن كل ذلك ليس له ثمن؟ الحقيقة هي أن هذه السياسة لا بد أن تؤدي إلى خراب أوروبا نفسها، وأن أوروبا، إن لم تكن حذرة، ستفنى بسبب الفراغ الذي خلقته حولها.

ظنوا أنهم يذبحون الهنود الأمريكان، أو الهندوس، أو سكان جزر المحيط الهادئ، أو الأفريقيين. لكنهم في الواقع هدموا،

واحدًا تلو الآخر، الحواجز التي كان من الممكن أن تزدهر الحضارة الأوروبية خلفها بحرية.

أعلم مدى مغالطة المقارنات التاريخية عامة، و خاصة المقارنة التي سأذكرها الآن. ومع ذلك، اسمحوا لي أن أقتبس صفحة من إدغار كينيه لما تحويه من قدر لا يستهان به من الحقيقة والتي تستحق التأمل.

إليكم الاقتباس:

"يتساءل الناس عن سبب ظهور موجات البرابرة فجأة في تاريخ الحضارات القديمة. ممن قضوا على روما وغيرها.
أعتقد أنني أعرف الإجابة.
ومن المثير للدهشة أن سببًا بهذه البساطة ليس واضحًا للجميع.
كان نظام الحضارات القديمة يتألف من عدد من القوميات، من دول، على الرغم من أنها بدت أعداءً، أو حتى جاهلة ببعضها البعض، إلا أنها حمت ودعمت وحافظت على بعضها البعض.
عندما شرعت الإمبراطورية الرومانية المتوسعة في غزو وتدمير هذه المجموعات من الأمم، ظن السفسطائيون المذهولون أنهم رأوا في نهاية هذا الطريق الإنسانية منتصرة في روما. تحدثوا عن وحدة الروح الإنسانية؛ لكنها كانت مجرد حلم. لقد حدث أن هذه القوميات كانت ذاتها بمثابة حصون تحمي روما نفسها... وهكذا، عندما دمرت روما، في مسيرتها

المزعومة المنتصرة نحو حضارة إنسانية واحدة، حضارات كل من: قرطاج ومصر واليونان ويهودا وفارس وداقية وبلاد الغال القريبة/سيسالبين وبلاد الغال البعيدة/ما بعد جبال الألب، واحدة تلو الأخرى، حدث أنها ابتلعت السدود التي كانت تحميها من بحر البشر الذي كان سيقضي عليها.

وبسحقه بلاد الغال، لم يفعل القيصر العظيم سوى تمهيد الطريق أمام صعود الجرمان التيوتون. هذه المجتمعات الكثيرة، واللغات الكثيرة التي انقرضت، والمدن الكثيرة، والحقوق، والمنازل التي دُمرت، قد خلقت فراغًا حول روما، وفي تلك الأماكن التي لم يغزوها البرابرة، وُلدت البربرية تلقائيًا. تحول الغاليون المهزومون إلى باغودات Bagaudes. وهكذا، تسبب السقوط العنيف، والاستئصال التدريجي للمدن، في انهيار الحضارة القديمة. كان هذا البناء الاجتماعي مدعومًا من قبل مختلف القوميات كما هو الحال مع العديد من الأعمدة المختلفة من الرخام أو البورفيري.

وعندما هُدِمت كلٌّ من هذه الأعمدة الحية، وسط تصفيق وتهليل من حكماء ذلك الزمان، انهار البناء. ولا يزال حكماء عصرنا يحاولون فهم كيف تكوّنت مثل هذه الخرائب العظيمة في لحظة."

والآن أسأل: ماذا فعلت أوروبا البرجوازية أيضًا؟ لقد قوضت الحضارات، ودمرت الدول، وأبادت القوميات، واستأصلت "جذر التنوع". لا مزيد من السدود، ولا مزيد من الحصون.

لقد حانت ساعة البربري. البربري المعاصر.
ساعة الولايات المتحدة الأمريكية.
عصر العنف، الفائض التبذيري، الإهدار، مذهب الإتجارية، الخداع بالتهويل والتزيّف، الإنصياعية، البلاهة الفكرية، انحطاط الذوق، والفوضى.

في عام 1913، كتب السفير الأمريكي في لندن بيج إلى رئيسه ويلسون:
"مستقبل العالم ملك لنا... والآن ماذا سنفعل بقيادة العالم الآن وقد أصبحت بين أيدينا بوضوح؟"

وفي عام 1914:
"ماذا سنفعل بهذه الإنجلترا وهذه الإمبراطورية، الآن وقد وضعت القوى الاقتصادية قيادة العِرْق بين أيدينا بشكل لا لبس فيه؟"

هذه الإمبراطورية... وغيرها...
ألا ترون كيف رفع هؤلاء السادة راية مناهضة الاستعمار بكل فخر؟

(من المترجم : صحيح الولايات/الويلات المتحدة استخدمت "معاداة الاستعمار الأوروبي" كسبيل ل"ترث" هي العالم منهم! ووقع في خيوط

تلك الحبائل والمكائد الأمريكية قادة بارزين من قادة "العالم الثالث" من "مناهضي الاستعمار الأوروبي"!
وما يزالون يقعون!)

يقول ترومان: "مساعدة الدول المحرومة." و "لقد ولّى زمن الاستعمار القديم."

مما يعني أن قطاع المال الأمريكي يرى أن الوقت قد حان لغزو كل مستعمرة في العالم.
لذا، أيها الأصدقاء الأعزاء، عليكم الحذر!

أعلم أن بعضكم، وقد سئمتم من أوروبا، ومن كل تلك الفوضى البشعة التي لم تشهدوها باختياركم، يتجهون - وإن لم يكن بأعداد كبيرة منكم - نحو أمريكا، ويعتادون النظر إليها كمحرر محتمل.
"يا لها من نعمة أرسلت من الله!" تفكرون.
-"الجرافات! الاستثمارات الضخمة! الطرق! الموانئ!"
-"لكن العنصرية الأمريكية!"
-"وماذا في ذلك؟ لقد حصّنتنا العنصرية الأوروبية في المستعمرات ضدها!" وها نحن ذا، مستعدون لخوض غمار المخاطرة الأمريكية/اليانكية الكبرى.

لذا، مرة أخرى، توخوا الحذر!

الهيمنة الأمريكية هي الهيمنة الوحيدة التي لا يتعافى منها المرء أبدًا. أعني التي لا يتعافى منها المرء سليما دون أن يُصاب بأذى.

وبما أنك تتحدث عن المصانع والصناعات،
ألا ترى المصنع الهائل وهو يقذف رمادَه بشكلٍ هستيري في قلب غاباتنا أو في أعماق الأدغال، مصنع إنتاج الأتباع؟ ألا ترى الميكنة الهائلة، ميكنة الإنسان؛ الاغتصاب الجائر لكل ما هو حميم، غير متضرر، غير مدنس، لدرجة أنه على الرغم من نهبنا، إلا أن روحنا الإنسانية لا تزال قادرة على الحفاظ على الآلة، نعم، ألم ترَها قط؟
آلة السحق، والطحن، وإذلال الشعوب؟
لذلك: إن الخطر جسيم.

ولذلك، ما لم تبادر أوروبا الغربية، في أفريقيا، في جزر البحار الجنوبية، في مدغشقر (التي على أبواب جنوب أفريقيا) وفي جزر الهند الغربية (التي على أبواب أمريكا)، بمبادرة منها بسياسة للقوميات، سياسة جديدة قائمة على احترام الشعوب والثقافات - بل وأكثر من ذلك - ما لم تُحيي أوروبا الثقافات المحتضرة والتي توشك على الاحتضار وتُنشئ ثقافات جديدة، ما لم تُصبح مُوقظة البلدان والحضارات (مع الأخذ في الاعتبار المقاومة الجديرة بالثناء للشعوب المستعمرة التي ترمز إليها فيتنام في المقام الأول، ولكن أيضًا بواسطة أفريقيا الممثَّلة في

التجمع الديمقراطي الأفريقي *Rassemblement Démocratique Africain*)، فإن أوروبا ستكون قد حرمت نفسها من فرصتها الأخيرة، ورسمت على نفسها، بيديها، ظلامًا دامسًا.

وهذا يعني أن خلاص أوروبا ليس مسألة ثورة في الأساليب. إنها مسألة ثورة - تلك التي، إلى حين قيام مجتمع لا طبقي، ستحل محل الطغيان الضيق لبرجوازية مجردة من إنسانيتها هيمنة الطبقة الوحيدة التي لا تزال لها رسالة عالمية، لأنها تعاني في جوهرها من كل مظالم التاريخ، من كل المظالم العالمية: الطبقة العاملة البروليتاريا.

(من المترجم : 😑
ربما كان - في عام 1950 - هناك مجال ما ل:
1) النُصح! ، رغم أن الكاتب نفسه في فقرات سابقة قال أن النصح والوعظ هو شيء عبثي!
2) هناك مجال للظن أن "البروليتاريا الأوروبية" لابد "ستتحد"، و "يا عمال العالم اتحدوا" وهذه الأشياء هههههه
لكنهم بين حالين ، إما هم شركاء لسادتهم في النهب الإمبريالي لشعوبنا، أو ببساطة هم بشر "هاموش" بشري ، تُفّه ، غير منظمين ، لا قيمة لهم في بلدانهم، ولا داعي للانشغال بالموتى!

مثلهم مثل موتى حركة العالم-ثالثية اللي كانت بدأت في خمسينات القرن ال20! نهرو الهندي، أحمد سوكارنو الاندونيسي، جمال عبد الناصر وبقية هذه الجماعة!
الحركة التي زعمائها إما فوّتوا "اللحظة التاريخية" للخلاص! وتواطئوا في استمرار علاقات النهب الامبريالي! مثل الثلاثي المذكورين بالاسم،
أو هم لم يتم يُتح لهم سلطة من الأساس، وتم التخلص منهم مُبكّرا وبسرعة مثل كوامي نكروما الغاني ، والإتيان بنوعيات أشخاص ك"القومي باني الأمة" موبوتو سيسي سيكو - في الكونغو البلجيكية سابقا - مثلا لا حصرا لكل هذه النوعية من الانتهازيين، عملاء امريكا، ومدّعين القومية.
فاتت "اللحظة التاريخية" ، والآن نحن في زمن "نهاية التاريخ" الأمريكي. وزمن "ما بعد نهاية التاريخ"!)

مقابلة مع ايميه سيزير
أجراها رينيه ديبيستير

أُجريت المقابلة التالية مع إيميه سيزير من قِبل الشاعر والناشط الهايتي رينيه ديبيستر في المؤتمر الثقافي في هافانا the Cultural Congress of Havana لعام ١٩٦٧.
ونُشرت المقابلة لأول مرة في كتاب "قصائد"، وهو مختارات من كتابات سيزير، الذي نشرته دار "كاسا دي لاس أميريكاس" الكوبية. وقد تُرجمت من الإسبانية بواسطة مارو ريفرانكوس.

رينيه ديبيستر: كتبت الناقدة ليليان كيستيلوت أن كتابك "العودة إلى وطني" هو كتاب سيرة ذاتية. هل هذا الرأي صحيح؟

إيميه سيزير: بالتأكيد. إنه كتاب سيرة ذاتية، ولكنه في الوقت نفسه كتاب حاولت من خلاله فهم نفسي. بمعنى ما، هو أقرب

إلى الحقيقة من السيرة الذاتية. يجب أن تتذكر أيضا أنه كتاب شخص شاب: كتبتُه بعد أن أنهيتُ دراستي مباشرة، وعدت إلى مارتينيك. كانت هذه أولى اتصالاتي ببلدي بعد غياب دام عشر سنوات، لذا وجدت نفسي غارقًا في بحر من الانطباعات والصور.
وفي الوقت نفسه، شعرت بقلق عميق حيال مستقبل مارتينيك.

ر. د. : كم كان عمرك عندما كتبت الكتاب؟
إ. س. : لا بد أنني كنت في السادسة والعشرين من عمري تقريبًا.

ر. د. : مع ذلك، ما يلفت النظر فيها هو نضجها الكبير.
إ. س. : كان هذا أول عمل منشور لي، ولكنه في الواقع يحتوي على قصائد كنت قد جمعتها، أو كتبتها تدريجيًا. أتذكر أنني كتبت عددًا لا بأس به من القصائد قبل هذه.

ر. د. : لكنها لم تُنشر قط.
إ. س. : لم تُنشر لأنني لم أكن راضيًا عنها تمامًا. وجدها الأصدقاء الذين عرضتها عليهم مثيرة للاهتمام، لكنها لم تُرضِني.

ر. د. : لماذا؟
إ. س. : لأنني لا أعتقد أنني وجدتُ شكلاً خاصاً بي بعد. كنتُ

لا أزال تحت تأثير الشعراء الفرنسيين. باختصار، إذا اتخذت قصيدة "العودة إلى وطني" شكل قصيدة نثر، فقد كان ذلك بمحض الصدفة. مع أنني أردتُ التمرد على التقاليد الأدبية الفرنسية، أنا لم أتحرر منها فعلياً إلا في اللحظة التي قررتُ فيها التخلي عن الشعر. في الواقع، يمكنكِ القول إنني أصبحتُ شاعرا بنبذي للشعر. هل تفهم ما أعنيه؟ كان الشعر بالنسبة لي السبيل الوحيد لكسر قبضة الشكل الفرنسي المتعارف عليه.

ر. د. : في مقدمتها لمختارات قصائدكِ المنشورة من قِبل دار نشر سيغرز، ليليان كيستيلوت تذكر أسماء مالارميه، وكلوديل، ورامبو، ولوتريمون من بين الشعراء الذين أثروا فيكِ.
إ. س. : كان لوتريمون ورامبو بمثابة اكتشاف عظيم للعديد من شعراء جيلي. لا بد لي أيضًا من القول إنني لا أنكر كلوديل. فقد تركت قصائده، في ديوان "رأس الذهب" على سبيل المثال، أثرًا عميقًا في نفسي.

ر. د. : لا شك في أنها قصائد عظيمة.
إ. س. : نعم، إنها قصائد عظيمة حقًا، في غاية الجمال. بطبيعة الحال، كانت هناك أمور كثيرة في كلوديل أزعجتني، لكنني لطالما اعتبرته بارعًا في استخدام اللغة.

ر. د. : يحمل كتابك "العودة إلى وطني" بصمة التجربة الشخصية، تجربتك كشاب مارتينيكي، كما أنه يتناول مسارات السود في جزر الأنتيل، حيث لا يكون للتأثيرات الفرنسية دور حاسم.
إ. س. : لا أنكر التأثيرات الفرنسية. سواء أردت ذلك أم لا، فأنا

كشاعر أعبر عن نفسي بالفرنسية، وقد أثر فيّ الأدب الفرنسي بشدة لكنني أريد أن أؤكد بشدة أنه بينما كنت أستخدم العناصر التي منحني إياها الأدب الفرنسي كنقطة انطلاق، سعيت في الوقت نفسه إلى ابتكار لغة جديدة، قادرة على نقل التراث الأفريقي.
بعبارة أخرى، كانت الفرنسية بالنسبة لي أداة أردت استخدامها في تطوير وسيلة جديدة للتعبير. أردت ابتكار فرنسية أنتيلية، فرنسية سوداء، مع كونها فرنسية، ذات طابع أسود.

ر. د. : هل كان للسريالية دور فعال في مساعيك لاكتشاف هذه اللغة الفرنسية الجديدة؟
إ. س. : كنتُ مستعدًا لتقبّل السريالية لأنني كنتُ قد تقدّمتُ بالفعل بمفردي، مستخدمًا كنقاط انطلاق نفس المؤلفين الذين أثّروا في شعراء السريالية. كان لتفكيرهم وتفكيري نقاط مرجعية مشتركة. لقد منحتني السريالية ما كنتُ أبحث عنه في حيرة. لقد تقبّلتُها بفرح لأنني وجدتُ فيها تأكيداً لِما أعرفُه، أكثر من كونه كشفاً لشيء جديد. لقد كانت سلاحًا فجّر اللغة الفرنسية. لقد هزّت كل شيء تمامًا. كان هذا مهمًا للغاية لأن الأشكال التقليدية - الأشكال المرهقة والمُستخدَمة بكثرة - كانت تُرهقني.

ر. د. : هذا ما أثار اهتمامك بالحركة السريالية...
إ. س. : لقد أثارت السريالية اهتمامي بقدر ما كانت عاملًا مُحرِّرا.

ر.د.: إذن أنت كنتَ شديد الحساسية لمفهوم التحرر الذي احتوته السريالية. استدعت السريالية قوى عميقة ولا شعورية.
إ. س. : بالضبط. وكان تفكيري يسير على هذا النحو: حسنًا، إذا

طبقتُ المنهج السريالي على وضعي الخاص، يُمكنني استحضار هذه القوى اللاشعورية. كان هذا، بالنسبة لي، دعوةً إلى أفريقيا. قلتُ لنفسي: صحيح أننا فرنسيون ظاهريًا، نحمل سمات العادات الفرنسية؛ لقد وُسِمنا بالفلسفة الديكارتية، وبالخطاب الفرنسي؛ ولكن إذا انفصلنا عن كل ذلك، إذا غصنا في الأعماق، فسنجد أن ما سنجده هو أسود في جوهره.

ر. د. : بعبارة أخرى، كانت عملية "تحرر من الاغتراب" dis-alienation.
إ. س. : نعم، عملية تحرر من الاغتراب، هكذا فسرتُ السريالية.

ر. د. : هكذا تجلّت السريالية في أعمالك: كمحاولة لاستعادة شخصيتك الأصيلة، وبطريقة ما كمحاولة لاستعادة التراث الأفريقي.
إ. س. : بالتأكيد.

ر. د. : وكعملية تطهير من السم.
إ. س. : غوص في الأعماق. لقد كان غوصًا في أفريقيا بالنسبة لي.

ر. د. : كانت وسيلة لتحرير وعيك.
إ. س. : نعم، شعرتُ أنه تحت الكائن الاجتماعي يوجد كائن عميق خطير الشأن، تراكمت عليه كل أنواع الطبقات والرواسب القديمة.

ر. د. : الآن، أودّ العودة إلى الفترة التي قضيتها في باريس عندما تعاونتَ مع أوبولد سيدار سنغور وأون-غونتران داماس في الدورية

الصغيرة "الطالب الأسود". هل كانت هذه المرحلة الأولى من الزنوجة التي عبّرت عنها في "العودة إلى وطني"؟

إ. س. : نعم، لقد كانت بالفعل زنوجة، كما كنا نفهمها آنذاك.
كان هناك اتجاهان داخل مجموعتنا. من جهة، كان هناك أشخاص من اليسار، شيوعيون في ذلك الوقت، مثل ج. مونيرو، وإ. أورو، ورينيه ميني. كانوا شيوعيين، ولذلك دعمناهم. لكن سرعان ما كان عليَّ أن آخذَ عليهم - ولعلَّ مَرَدَّ هذا يرجعُ إلى ليوبولد سينغور - كونَهم شيوعيين فرنسيين. لم يكن هناك ما يميّزهم لا عن السرياليين الفرنسيين ولا عن الشيوعيين الفرنسيين. بعبارة أخرى، كانت قصائدهم باهتة.

(من المترجم : المقصود بأخذه عليهم **"كونهم شيوعيين فرنسيين"** هو انتقاده للقادة والنواب الأفارقة (مثل أعضاء التجمع الديمقراطي الأفريقي RDA في مرحلتهم الأولى) لأنهم عندما تحالفوا مع الشيوعيين، تبنوا الأيديولوجيا من منظور باريسي فرنسي محض.
وهو أصبح يرى أن الحزب الشيوعي الفرنسي -رغم شعاراته الأممية - ظل حزبا يحمل عقلية **"أوروبية مركزية"** تضع قضايا العمال البيض في فرنسا كأولوية، وتتعامل مع قضايا الاستقلال الأفريقي واستعباد الشعوب السوداء كمسألة ثانوية أو فرعية تابعة للصراع الطبقي الأوروبي.
والشاعر والمفكر السنغالي ليوبولد سينغور كان الصديق الصدوق لسيزيه ورفيقه في تأسيس حركة **"الزنوجة" Négritude**)

ر.د.: لم يكونوا يسعون إلى "التحرر من الاغتراب" dis-alienation.

إ. س. : في رأيي، كانت عليهم آثار الاندماج/الاستيعاب. في ذلك

الوقت اندمج الطلاب المارتينيكيون إما مع اليمينيين الفرنسيين أو مع اليساريين الفرنسيين. لكنها كانت دائمًا عملية استيعاب assimilation.

(من المترجم : "اندماج" هو العملية التي يفعلها الطرف الذي تم/يتم استيعابه، و "استيعاب" كالهدف النهائي لعملية الاندماج!

وإن قرأت الكتاب في الأعلى ستجدني أشرح - ولو بسرعة واختصار- معنى هذا)

ر. د. : في جوهر الأمر، ما فصلك عن الطلاب الشيوعيين المارتينيكيين في ذلك الوقت هو قضية الزنجية/السؤال الزنجي.

إ. س. : نعم، قضية الزنجية. في ذلك الوقت، انتقدت الشيوعيين لنسيانهم خصائصنا الزنجية. لقد تصرفوا كشيوعيين، وهذا لا بأس به، لكنهم تصرفوا كشيوعيين نظريين. وكنت أؤكد أن المسألة السياسية لا يمكنها أن تلغي وضعنا كزنوج. نحن زنوج، ولدينا عدد كبير من الخصائص التاريخية.

أظن أنني تأثرت بسينغور في هذا. في ذلك الوقت، لم أكن أعرف شيئًا على الإطلاق عن أفريقيا. بعد ذلك بوقت قصير، التقيت بسينغور، وأخبرني الكثير عن أفريقيا. لقد ترك انطباعًا هائلاً عليّ: أنا مدين له بكشفه لي عن أفريقيا وتفردها. وحاولت تطوير نظرية تشمل واقعي بأكمله.

ر. د. : لقد حاولت تخصيص "particularize" الشيوعية...

إ. س. : نعم، إنها نزعة قديمة لديّ. حتى في ذلك الوقت، كان الشيوعيون يلومونني على حديثي عن مشكلة الزنوج - كانوا يسمون ذلك عنصريتي الخاصة. لكنني كنت أجيب: ماركس على حق، لكن

علينا أن نكمل فكر ماركس. شعرت أن تحرير الزنوج يتجاوز مجرد التحرر السياسي.

ر. د. : هل ترى علاقة بين الحركات التي ظهرت بين الحربين العالميتين تربط بين مجلة "الطالب الأسود" الفرنسية، وحركة "النهضة الزنجية" في الولايات المتحدة، و"المجلة الأصلية" في هايتي، و"الزنجية" في كوبا؟
إ. س. : شخصيا، لم أتأثر بتلك الحركات الأخرى في أمريكا وهايتي وكوبا، لأني لم أكن أعرف عنها من الأساس في ذلك الزمن. لكني متأكد من أنها حركات موازية.

ر. د. : كيف تفسر ظهور هذه الحركات الموازية في السنوات بين الحربين العالميتين، في هايتي والولايات المتحدة وكوبا والبرازيل ومارتينيك وغيرها، والتي اعترفت بالخصوصيات الثقافية لأفريقيا؟
إ. س. : أعتقد أنه في ذلك الوقت من تاريخ العالم، كان هناك وعي متزايد بين الزنوج في مناطق شتى، وقد تجلى ذلك في حركات لا تربطها بالضرورة أي علاقة ببعضها.
(من المترجم : الفترة بين الحربين عموما ، وخصيصا عقد الثلاثينات من القرن ال20 كانت فترة لانتشار "القوميات" من كل نوع عبر العالم. ليست مسألة "الزنجية" فقط. ربما الزنجية ذاتها كانت استجابة لبزوغ الفاشية في أوروبا.)

ر. د. : كانت هناك ظاهرة موسيقى الجاز الاستثنائية.
إ. س. : نعم، كانت هناك ظاهرة موسيقى الجاز. وكانت هناك حركة

ماركوس غارفي. أتذكر جيدًا أنني حتى عندما كنت طفلاً، كنت أسمع الناس يتحدثون عن غارفي.
(من المترجم : شخص جامايكي - تابع للتاج البريطاني - أقام في امريكا في زمن الحرب العالمية الأولى وفي عشرينات القرن ال20 وأثار "شغبا فكريا" كبيرا. وسُجن وأفرج عنه وسُجن حتى رُحِّل. واستمر في التأثير على كل الأمريكان السود. وأثّر على فكر عدوهم الأساسي في القرن ال20 : مدير الـFBI إدغار هوفر، الذي دمّر كل الحركات السياسية الزنجية في أمريكا في القرن ال20.
كان إدغار هوفر مهووس بفكرة منع قيام "ماسيح زنجي". أو بالأدق: منع الظروف التي تمهد لقيام هذا "الماسيح"! ونجح!)

ر. د. : كان ماركوس غارفي بمثابة نوع من "نبيٍّ زنجيٍّ"، وقد حفّزت خطاباته الجماهير الزنجية في الولايات المتحدة. وكان هدفه اصطحاب جميع الأمريكيين الزنوج إلى أفريقيا.
إ. س. : لقد ألهم حركةً جماهيريةً، وكان لسنواتٍ عديدةٍ رمزًا للأمريكيين الزنوج. وفي فرنسا، كانت هناك صحيفةٌ تُدعى "صرخة الزنوج".

ر. د. : أعتقد أن هايتيين من مواطنيي مثل الدكتور ساجوس، وجاك رومين، وجان برايس مارس تعاونوا في تلك الصحيفة. كما صدرت ستة أعداد من مجلة "لا ريفو دو مونتل نوار" (مجلة العالم الأسود)، كتبها رينيه ماران، و كلود مكاي، وبرايس مارس، والأخوان أشيل، وساجوس، وآخرون.
إ. س. : أتذكر جيدًا أننا قرأنا في ذلك الوقت قصائد لانغستون هيوز وكلود مكاي. كنت أعرف جيدًا من هو مكاي لأنه في عام 1929 أو

1930 ظهرت مختارات من الشعر الأمريكي الزنجي في باريس. ونُشرت رواية مكاي، "بانجو" في عام 1930، والتي تصف حياة عمال الموانئ في مرسيليا. كانت هذه في الواقع واحدة من أوائل الأعمال التي تحدث فيها كاتب عن الزنجي ومنحه كرامة أدبية معينة. لا بد لي مع ذلك، أن أقول إنه على الرغم من أنني لم أتأثر بشكل مباشر بأي من الأمريكيين الزنوج، فقد شعرت على الأقل أن الحركة في الولايات المتحدة خلقت مناخًا كان لا غنى عنه لبلوغ وعي واضح للغاية. خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، تأثرت بثلاثة عوامل رئيسية، بشكل عام. الأول كان التأثير الأدبي الفرنسي، من خلال أعمال مالارميه، ورامبو، ولوريمون، وكلوديل. والثاني كان أفريقيا. لم أكن أعرف الكثير عن أفريقيا، لكنني تعمقت في معرفتي من خلال الدراسات الإثنوغرافية.

ر. د. : أعتقد أن علماء الإثنوغرافيا الأوروبيين قد ساهموا في تطوير مفهوم الزنوجة.
إ. س. : بالتأكيد. أما بالنسبة للتأثير الثالث، فكان حركة النهضة الزنجية في الولايات المتحدة، والتي لم تؤثر عليّ بشكل مباشر، لكنها مع ذلك خلقت مناخًا سمح لي بإدراك تضامن العالم الأسود.

ر. د. : في ذلك الوقت، ألم تكن على دراية، على سبيل المثال، بالتطورات المماثلة في هايتي، والتي تمحورت حول مجلة "لا ريفو إنديجين" وكتاب جان برايس-مارس، "الأمواج تتحدث إليّ"؟
إ. س. : لا، لم أكتشف الحركة الهايتية إلا لاحقًا وكتاب برايس-مارس الشهير.
(من المترجم : طبعا كل تلك الحركات الزنجية - في امريكا ، في

جزيرة جامايكا البريطانية ، وفي الجزر المستعمرات السوداء لفرنسا كجزيرة مارتينيك - تم "استيعابها" تماما الآن!)

ر. د. : كيف تصف لقاءك مع سنغور، اللقاء بين حركة الزنوجة الأنتيلية/في جزر الأنتيل الصغرى وحركة الزنوجة الأفريقية؟
هل كان نتيجة حدث معين أم تطور متوازٍ للوعي؟
إ. س. : ببساطة، كان السبب أنه في باريس آنذاك يوجد بضع عشرات من السود من أصول متنوعة. كان هناك أفريقيون، مثل سنغور، وغيانيون، وهايتيون، وأمريكيون شماليون، وسكان جزر الأنتيل، وغيرهم. كان هذا مهمًا جدًا بالنسبة لي.

ر. د. : في هذه الدائرة من السود في باريس، هل كان هناك وعي بأهمية الثقافة الأفريقية؟
إ. س. : نعم، بالإضافة إلى إدراك التضامن بين السود. كنا قدِمنا من أجزاء مختلفة من العالم. كان هذا أول لقاء لنا.
كنا نكتشف أنفسنا. كان هذا مهمًا جدًا.

ر. د. : كان بالغ الأهمية. كيف توصلت إلى تطوير مفهوم الزنوجة؟
إ. س. : لديّ شعورٌ بأنه كان نوعًا ما من ابتكار جماعي. أنا استخدمتُ المصطلح أولًا، هذا صحيح. لكن من المحتمل أننا تحدثنا عنه في مجموعتنا. لقد كان في الحقيقة مقاومةً لسياسات الاستيعاب. حتى ذلك الوقت، حتى جيلي، كان الفرنسيون والإنجليز - وخاصة الفرنسيون - يتبعون سياسات الاستيعاب بشكلٍ غير مقيد. لم نكن نعرف ما هي أفريقيا. كان الأوروبيون يحتقرون كل شيءٍ يتعلق بأفريقيا، وفي فرنسا كان الناس يتحدثون عن عالمٍ متحضّر وعالمٍ

همجي. العالم الهمجي كان هو أفريقيا، والعالم المتحضّر هو أوروبا. لذلك كان أفضل ما يمكن فعله مع الأفريقي هو استيعابه. كان الهدف المثالي هو تحويله إلى فرنسي ذي جلد أسود.

ر. د. : شهدت هايتي ظاهرة مماثلة في بداية القرن التاسع عشر. هناك مكتبة كاملة من أدب زائف هايتي، أبدعه مؤلفون سمحوا لأنفسهم بأن يتم استيعابهم. كان استقلال هايتي، استقلالنا الأول، هجومًا عنيفًا على الوجود الفرنسي المادي في بلادنا، لكن مؤلفينا الأوائل لم يهاجموا القيم الثقافية الفرنسية بنفس القوة. لم يسعوا نحو تحرير وعيهم من الاستعمار.
إ. س. : هذا ما يُعرف بالبوفاريسية bovarisme. في جزيرة مارتينيك أيضًا كنا في خضم البوفاريسية. ما زلت أتذكر صيدليًا مارتينيكيًا فقيرًا كان يقضي وقته في كتابة القصائد والسوناتات التي كان يرسلها إلى المسابقات الأدبية، مثل مسابقات "ألعاب الزهور" في تولوز. وشعر بفخر كبير عندما فازت إحدى قصائده بجائزة. في أحد الأيام أخبرني أن الحكام لم يدركوا حتى أن قصائده كُتبت بقلم رجل ملون. بمعنى آخر، كان شِعره غير شخصي لدرجة أنه جعله فخورًا. لقد كان ممتلئًا بالفخر بشيء كنت سأعتبره أنا إدانة قاسية له.

ر. د. : لقد كانت حالة اغتراب alienation تام.
إ. س. : أعتقد أنك أصبت كبد الحقيقة. كان نضالنا نضالًا ضد الاغتراب. هذا النضال هو الذي أنجب حركة الزنوجة. لأن سكان جزر الأنتيل الصغرى كانوا يخجلون من كونهم سودًا، فقد بحثوا عن كل أنواع التعبيرات الملطفة لكلمة "زنجي": كانوا يقولون رجل ملون، رجل أسمر البشرة، وغيرها من الحماقات المشابهة.

ر. د. : نعم، حماقات حقيقية.
إ. س. : حينها اعتمدنا كلمة "زنجي" كمصطلح للتحدي. لقد كان اسمًا متحديًا. إلى حد ما، كان رد فعل من شباب غاضب ولأن كلمة "زنجي" كانت تحمل عارًا، فقد اخترناها كلمة "زنجي". يجب أن أقول إنه عندما أسسنا "الطالب الأسود"، كنت أرغب حقًا في تسميتها "الطالب الزنجي"، لكن كانت هناك مقاومة كبيرة لذلك بين سكان جزر الأنتيل.

ر. د. : اعتقد البعض أن كلمة "زنجي" مسيئة؟
إ. س. : نعم، مسيئة للغاية، وعدوانية للغاية، ثم أخذت على عاتقي الحديث عن الزنوجة. كانت لدينا إرادة متحدية، ووجدنا تأكيدًا عنيفًا في كلمتي "زنجي" Négre و"الزنوجة" Négritude.

ر. د. : بالعودة إلى كتابك "العودة إلى وطني"، ذكرتَ أن هايتي كانت مهد الزنوجة. على حد تعبيرك، "هايتي، حيث وقفت الزنوجة على قدميها لأول مرة". إذن، برأيك، فإن تاريخ بلدي هايتي هو، بمعنى ما، ما قبل تاريخ الزنوجة. كيف طبقتَ مفهوم الزنوجة على تاريخ هايتي؟
إ. س. : حسنًا، بعد اكتشافي للزنجي في أمريكا الشمالية واكتشافي لأفريقيا، انطلقتُ لاستكشاف العالم الأسود برمته، وهكذا تعرفتُ على تاريخ هايتي. أحب مارتينيك، لكنها أرض مغتربة، بينما مثّلت هايتي بالنسبة لي جزر الأنتيل البطولية، جزر الأنتيل الأفريقية. بدأتُ أُقيم روابط بين جزر الأنتيل وأفريقيا، وهايتي هي الأكثر أفريقية بين جزر الأنتيل. إنها في الوقت نفسه دولة ذات تاريخ رائع: أول ملحمة

زنجية في العالم الجديد كتبها هايتيون، أمثال توسان لوفيرتور، وهينتي كريستوف، وجان جاك ديسالين، وغيرهم. هايتي ليست معروفة جيدًا في مارتينيك. أنا واحد من المارتينيكيين القلائل الذين يعرفون هايتي ويحبونها.

ر. د. : إذن، بالنسبة لك، كان نضال الاستقلال الأول في هايتي بمثابة تأكيد، وبرهان على مفهوم الزنوجة. تاريخنا الوطني هو الزنوجة في العمل؟
إ. س. : نعم، الزنوجة مُطبّقة. هايتي هي الدولة التي انتفض فيها الزنوج لأول مرة، مؤكدين عزمهم على بناء عالم جديد، عالم حر.

(من المترجم : الزنوج انتفضوا بالفعل. أساسا لأن جزء كبير من الفرنسيين البيض مُلّاك الإقطاعيات الزراعية في هايتي رفضوا الخضوع لسلطة "الجمهورية" الوليدة في فرنسا، فدخلت بريطانيا لاعانة هؤلاء "الملكيين البيض" ضد جيش الجمهورية من ناحية وضد الزنوج المنتفضين أيضا. وظل البريطانيين يقاتلون الزنوج المنتفضين لسنوات طوال، في محاولة لدحرهم وضم البلد للتاج البريطاني. لكن منذ عام 1803 وقد بدأت "الحروب النابليونية"، فغيّرت بريطانيا وجهة نظرها، تخلّت عن محاولة أخذ الإقليم بالقوة لنفسها وقررت دعم الثوار العبيد الذين كانت تحاربهم من قبل! لكن هذه المرة لأجل أن يقاتلوا هم جيش نابليون الضخم والوافد جديدا لأجل استعادة البلد لصالح باريس وسحق الثورة.
فقصة هايتي هي متشابكة مع الاضطرابات السياسية في فرنسا أواخر القرن ال18 وأوائل القرن ال19. وهذه الاضطرابات بذاتها هي ما ستشبكهم مع "المهيمن القادم" على المنطقة : واشنطن!

فبينما أصبحت بريطانيا في النهاية في صف "هايتي حرة مستقلة"، رأت واشنطن دعم وجهة نظر نابليون. ولأسباب تخصها هي ذاتها -عبيدها الزنوج!- وليس فقط بسبب "حليفها" الفرنسي.)

ر. د. : طوال القرن التاسع عشر، كان هناك رجال في هايتي أدركوا، دون استخدام مصطلح "الزنوجة"، أهمية هايتي في التاريخ العالمي. كان أدباء هايتيون، مثل هانيبال برايس ولويس جوزيف جانفييه، يتحدثون بالفعل عن ضرورة استعادة القيم الثقافية والجمالية السوداء. عبقري مثل أنتينور فيرمين كتب في باريس كتابًا بعنوان "De *l'égalité* des races humanes"، حاول فيه إعادة تقييم الثقافة الأفريقية في هايتي من أجل مكافحة الاستيعاب التام والباهت الذي كان سمة مميزة لأوائل أدباء هايتي. يمكن القول إنه ابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأ بعض الكتاب الهايتيين - جاستن ليريسون، وفريدريك مارسيلين، وفرناند هيبرت، وأنطوان إينوسنت - باكتشاف خصوصيات بلدنا، وحقيقة أن لنا ماضياً أفريقياً، وأن العبودية لم تكن وليدة اللحظة، وأن معتقدات "الفودو" كانت عنصراً مهماً في تطور ثقافتنا الوطنية. والآن، من الضروري دراسة مفهوم الزنوجة عن كثب. لقد مرّت الزنوجة بتجارب متنوعة. لا أعتقد أن هذا المفهوم يُفهم دائماً بمعناه الأصلي، بطبيعته المتفجرة. في الواقع، هناك أناس اليوم في باريس وأماكن أخرى تختلف أهدافهم تماماً عن أهداف كتابك العودة إلى وطني.

إ. س. : أود أن أقول إن لكل شخص مفهومه الخاص عن الزنوجة. لقد أُفرط في التنظير حول الزنوجة. حاولتُ ألا أُبالغ في ذلك، بدافع التواضع. ولكن إذا سألني أحدهم عن مفهومي للزنوجة، أجيب بأنه

وقبل كل شيء هو بُلوغ ملموس للوعي، وليس مُجرَّد. ما كنتُ أخبرك عنه - الجو الذي عشنا فيه، جوٌ من "الاستيعاب" الثقافي/الحضاري جعل الزنوج يخجلون من أنفسهم - له أهمية بالغة. لقد عشنا في جوٍ من الرفض لنا، وتطورت لدينا عقدة نقص. لطالما اعتقدتُ أن الرجل الأسود كان يبحث عن هويته. وبدا لي أنه إذا كان ما نريده هو ترسيخ هذه الهوية، فعلينا أن نعي تمامًا ماهيتنا - أي الحقيقة الأولى في حياتنا: أننا سود؛ أننا كنا سودًا ولدينا تاريخ، تاريخ يحتوي على عناصر ثقافية معينة ذات قيمة عظيمة؛ وأن الزنوج "لم يولدوا بالأمس"، كما يقول المثل، فقد كانت هناك حضارات سوداء جميلة وهامة. في ذلك الوقت عندما بدأنا الكتابة عن الزنوجة، كان بإمكان الناس كتابة تاريخ الحضارة العالمية دون تخصيص فصل واحد لأفريقيا، كما لو أن أفريقيا لم تقدم أي إسهامات للعالم. لذلك أكدنا أننا زنوج وأننا فخورون بذلك، وأننا نعتقد أن أفريقيا ليست صفحة بيضاء في تاريخ البشرية؛ باختصار، أكدنا أن تراثنا الزنجي جدير بالاحترام، وأن هذا التراث لم يُحصر في الماضي، وأن قيمه لا تزال قادرة على تقديم إسهامات هامة للعالم.

ر. د. : أي بعبارة أخرى، قيم يمكن عولمتها ...

إ. س. : قيم يمكن عولمتها، حية لم تُستنفد.

لم يكن الحقل مُقفرا: لا يزال بإمكانه أن يُثمر إذا بذلنا الجهد لريّه بعرقنا وزرعنا بذورًا جديدة. لذا كان هذا هو الوضع: كانت هناك أمورٌ يجب إخبار العالم بها. لم نكن مبهورين بالحضارة الأوروبية. لقد حملنا بصمة الحضارة الأوروبية، لكننا اعتقدنا أن أفريقيا يُمكنها أن تُقدّم مساهمة لأوروبا. كان ذلك أيضًا تأكيدًا على تضامننا. هكذا كان الأمر: لطالما أدركتُ أن ما كان يحدث لإخواني الأفارقة في

الجزائر والولايات المتحدة كان له تداعياته عليّ. أدركتُ أنه لا يُمكنني أن أكون غير مبالٍ بما كان يحدث في هايتي أو أفريقيا.
ثم، بطريقة ما، توصلنا ببطء إلى فكرة انتشار حضارة سوداء في جميع أنحاء العالم. وقد أدركتُ أنه كان هناك "وضع زنجي" قائمٌ في مناطق جغرافية مختلفة، وأن أفريقيا كانت أيضاً وطني. كانت هناك القارة الأفريقية وجزر الأنتيل، وهايتي؛ وكان هناك سكان مارتينيك والبرازيليون السود، إلخ. هذا ما كانت تعنيه لي حركة الزنوجة.

(من المترجم: الزعيم الليبي معمر القذافي - بعدما كان كفر ب"العروبية"، ويعمل لتوحيد افريقيا في مساعيه لإنشاء منظمة "الاتحاد الإفريقي" في تسعينات القرن ال20، والتي كان يُفترض بها أن تماثل في تطبيقها ووظائفها الفعلية جهاز "الاتحاد الأوروبي"! - كان يدعو لضم هايتي وجزر الأنتيل وعموم الجزر المطلة على البحر الكاريبي إلى ذلك الاتحاد الأفريقي!
كان لابد لأمريكا من قتله!)

ر. د. : كانت هناك أيضًا حركة سبقت حركة الزنوجة نفسها، أتحدث عن حركة الزنوجة المعروفة بين الحربين العالميتين ، حركة يمكن تسميتها ما قبل الزنوجة، تجلّت في الاهتمام بالفن الأفريقي الذي لوحظ بين الرسامين الأوروبيين. هل ترى علاقة بين اهتمام الفنانين الأوروبيين وظهور الوعي بالزنوجة؟
إ. س. : بالتأكيد. هذه الحركة عامل آخر في تطور وعينا. أصبح الزنوج رائجين ثقافيا في فرنسا بفضل بيكاسو، وفلامينك، وبراك، وغيرهم.

ر. د. : خلال الفترة نفسها، انبهر محبو الفن ومؤرخوه - على سبيل المثال بول غيوم في فرنسا وكارل أينشتاين في ألمانيا - بجودة النحت الأفريقي. لم يعد الفن الأفريقي مجرد فضول غريب، بل أصبح غيوم نفسه يقدره باعتباره "البذرة المانحة للحياة لروح القرن العشرين".
إ. س. : أتذكر أيضًا الأنطولوجيا الزنجية ل بلاز سندرار.

ر. د. : كان كتابًا مخصصًا للأدب الشفهي للزنوج الأفارقة.
أتذكر أيضًا العدد الثالث من مجلة "أكشن" الفنية، الذي تضمن عددًا من المقالات لكتاب الطليعة الفنية في ذلك الوقت، حول الأقنعة والمنحوتات الأفريقية، وغيرها من الأعمال الفنية. ولا ننسى غيوم أبولينير، الذي يزخر شِعره باستحضارات أفريقيا.
باختصار، هل تعتقد أن مفهوم الزنوجة تشكّل على أساس معتقدات أيديولوجية وسياسية مشتركة بين مؤيديه؟
لقد سلك رفاقك في الزنوجة، المناضلون الأوائل في الزنوجة، مسارًا مختلفًا عن مسارك. هناك، على سبيل المثال، سنغور، صاحب فكر لامع وشاعر متقد، لكنه مليء بالتناقضات حول موضوع الزنوجة.

إ. س. : كانت ميولنا قبل كل شيء مسألة شعور. إما أن تشعر بأنك أسود أو لا تشعر بذلك. ولكن كان هناك أيضًا الجانب السياسي. فحركة الزنوجة، في نهاية المطاف، كانت جزءًا من اليسار. لم يخطر ببالي أبدًا أن تحررنا يمكن أن يأتي من اليمين - هذا مستحيل. شعرنا أنا وسنغور بأن تحررنا وضعنا على اليسار، لكننا رفضنا كلانا النظر إلى قضية السود كمسألة اجتماعية بحتة. لا يزال هناك أناس، حتى اليوم، يعتقدون ويعتقدون أن الأمر برمته مجرد مسألة وصول اليسار إلى السلطة في فرنسا، وأنه مع تغير الظروف الاقتصادية

ستختفي قضية السود. لم أوافق على ذلك أبدًا. أعتقد أن المسألة الاقتصادية مهمة، لكنها ليست الشيء الوحيد.

ر. د. : بالتأكيد، لأن العلاقات بين الوعي والواقع معقدة للغاية. لذا، من الضروري بنفس القدر تحرير عقولنا وحياتنا الداخلية من آثار الاستعمار، في الوقت الذي نحرر فيه المجتمع من آثاره.
إ. س. : بالضبط، وأتذكر جيدًا أنني قلت للشيوعيين المارتينيكيين في تلك الأيام، إن السود، كما أشرتَ، يعانون من التهميش والاغتراب بشكل مضاعف:
أولًا كعمال، وثانيًا كسود، لأننا في النهاية نتعامل مع العرق الوحيد المحروم حتى من مفهوم الإنسانية.

انتهى

ملحوظات

1-

هذه إشارة إلى خبر الاستيلاء على مدينة ثوان-آن الفيتنامية التي نُشرت في صحيفة لو فيغارو في سبتمبر 1883، والمقتبسة أيضا في كتاب لوتي، حياته، أعماله. "ثم بدأت المذبحة الكبرى. أطلقوا النار بوابل مزدوج! وكان من دواعي سروري أن أرى رشقات الرصاص هذه، التي كانت سهلة التصويب، وهي تنهال عليهم مرتين في الدقيقة، بثبات ومنهجية، بناءً على أمر... رأينا بعضًا ممن كانوا في حالة جنون تام، ووقفوا وقد استولت عليهم رغبة جامحة في الركض... كانوا يركضون متعرجين، في كل اتجاه في هذا السباق مع الموت، رافعين ثيابهم حول خصورهم بطريقة مضحكة... ثم تسلينا بحساب القتلى، إلخ."

2-

هو خط سكة حديد يربط مدينة برازافيل عاصمة الكونغو الفرنسية (الكونغو-برازافيل) بميناء بوانت نوار.

3-

في الأساطير الكلاسيكية الاغريقية، كان سيلينوس يعتبر "ساطير"، ابن بان. كان الأب بالتبني لباخوس، إله الخمر، ووُصف بأنه رجل عجوز مرح، وعادةً ما يكون ثملًا.

-4
لم يكن شخصًا سيئًا في جوهره، كما أثبتت الأحداث اللاحقة، ولكنه في ذلك اليوم كان في حالة هياج تام.

-5
جول رومان هو الاسم المستعار للويس فاريغول، الذي اعتمده قانونيًا عام ١٩٥٣.
أما سالسيت فشخصية في أحد كتبه، "سالسيت يكتشف أمريكا" (١٩٤٢). مع ذلك، فإن المقطع المقتبس لا يظهر إلا في الطبعة الثانية الموسعة من ذلك الكتاب، التي نُشرت في فرنسا عام ١٩٥٠.

-6
كانت إجابات عرافة دودونا اليونانية الشهيرة تتكشف من خلال حفيف أوراق شجرة بلوط مقدسة. أما المرجل، وهو كنز مشهور من كنوز المعبد، فكان يتألف من تمثال نحاسي يحمل في يده سوطا مصنوعا من سلاسل، وكان هذا السوط، عندما تحركه الرياح، يضرب مرجلا نحاسيا، فيصدر اهتزازات طويلة بشكل استثنائي.

-7
من الصفحات الأولى من كتاب ديكارت "مقال في المنهج"، كما ترجمه آرثر ولاستون للإنجليزية في طبعة بنغوين (١٩٦٠).

8. انظر الشيخ أنتا ديوب، "الأمم الزنجية والثقافة"، المنشور في 1955.
بعد أن أعلن الاغريقي هيرودوت أن المصريين كانوا في الأصل

مجرد مستعمرة للأثيوبيين، وبعد أن كرر ديودور الصقلي الأمر نفسه، بل وزاد الطين بلة بتصويره للأثيوبيين بطريقة لا مجال فيها للخطأ (كما ورد في كتاب "الكتاب الثالث، القسم الثامن"، نقلاً عن الترجمة اللاتينية "niro sunt colore,facie sima, crispis capillis" معظم الناس هم من سود البشرة، وملامح الوجه رديئة، وشعرهم مجعد)، كان من الأهمية بمكان شن هجوم مضاد.

وبالنظر إلى هذا، ولأن معظم علماء الغرب قد شرعوا عمدًا في فصل مصر عن أفريقيا، حتى مع خطر عدم قدرتهم على تفسيرها، كانت هناك عدة طرق لإنجاز المهمة.

طريقة غوستاف لوبون وهي تأكيد صريح وجريء: "المصريون القدماء كانوا حاميون، أي بيض مثل الليديين، والجتوليين، والمور، والنوميديين، والبربر"؛

وطريقة ماسبيرو، التي تتكون من جعل وجود صلة، على عكس كل الاحتمالات، بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية وخاصة مجموعة اللغات العبرية-الآرامية، والتي يترتب عليها استنتاج أن المصريين القدماء كانوا في الأصل ساميين؛

طريقة ويغال، الجغرافي هذه المرة، التي بموجبها لا يمكن أن تكون الحضارة المصرية القديمة قد نشأت إلا في منطقة مصر السفلى، ومن هناك انتقلت إلى مصر العليا، متجهةً عكس حركة تيار النيل... نظرًا لعدم قدرتها على التحرك مع تدفق تيار النيل. وسيدرك القارئ أن السبب الخفي المزعوم لاستحالة ذلك هو أن مصر السفلى قريبة من البحر الأبيض المتوسط، وبالتالي قريبة من السكان البيض، بينما مصر العليا قريبة من بلاد الزنوج.

وفي هذا السياق، من المثير للاهتمام رؤية المعارضة العلمية لأطروحة ويغال بآراء شاينفورث (في كتابه "في قلب أفريقيا"،

المجلد 1) حول أصل نباتات وحيوانات مصر، والتي وضعها "على بعد مئات الأميال أعلى تيار النيل".

-9
من الواضح أنني في تلك الفقرة لم أعد أهاجم كتاب "فلسفة البانتو" ذاته، بل الطريقة التي يحاول بها بعض الناس استخدامه لأغراض سياسية.

-10
الاسم الشعبي الفرنسي الذي أطلقه الفرنسيون على شعب الهند-الصينية. مثله مثل المصطلح العرقي الاحتقاري الأمريكي الشهير تاليا على الفيتناميين : "غوك" gook.

-11
كان إيزيدور دوكاس - لقب كونت دي لوترﻳﺎمون الذي استعمله هو اسم مستعار - رائدًا للسريالية المبكرة، لم يكن معروفًا خلال حياته القصيرة (١٨٤٦-١٨٧٠)، لكنه كان له تأثير كبير على جيل لاحق من الشعراء. يُذكر بعمل استثنائي واحد، وهو "أغاني مالدورور"، وهو نوع من القصائد الملحمية النثرية التي يثور بطلها الشيطاني بعنف ضد الله والمجتمع.
الحلقات المتفرقة التي يمر بها مالدورور هي سلسلة من الرؤى الخيالية، تارةً صوفية وشاعرية، وتارةً أخرى غريبة، ومرعبة، وإيروتيكية، مليئة بالسادية ومصاصي الدماء. العمل ككل يحمل حدة كابوس، ويبدو وكأنه ينبع مباشرةً من لاوعي المؤلف.

-12

فوتران، الذي يظهر في رواية "الأب غوريو" (1834) وروايات أخرى، هو الشخصية الشريرة الرئيسية في سلسلة روايات بلزاك "الكوميديا الإنسانية". مجرم محترف يعيش متخفيًا في زي تاجر سابق، وهو فاسد، عديم الضمير، ومُصرّ على سعيه وراء الثروة. بنظرة ساخرة للمجتمع الرأسمالي، يرى فوتران نفسه ليس أكثر انحطاطًا من البرجوازي المحترم في عصره.

-13

من «خمر جامعي الخرق» في ديوان «أزهار الشر» Les Fleurs du mal لبودلير، كما ترجمها سي. إف. ماكنتاير.

-14

انظر روجي كايوا، «أوهام عكسية» (Illusions à rebours)، مجلة *Nouvelle Revue Française*، ديسمبر ويناير 1955.

-15

من اللافت للنظر أنه في الوقت الذي كان فيه السيد كايوا يشن حملته، كانت هناك مجلة استعمارية بلجيكية، مستوحاة من الحكومة البلجيكية (مجلة "أوروبا-أفريقيا"، العدد 6، يناير 1955)، تشن هجومًا مماثلاً تمامًا على الاثنوجرافيا:

"في السابق، كان التصور الأساسي للمستعمِر عن علاقته بالإنسان المستعمَر هو علاقة إنسان متحضر بإنسان متوحش. وهكذا، استند الاستعمار إلى تسلسل هرمي، فظّ بلا شك، ولكنه راسخ وواضح."

وهذه العلاقة الهرمية هي التي يتهم كاتب المقال، السيد بيرون،

الاثنوجرافيا بتدميرها.
ومثل السيد كايوا، هو يلقي باللوم على ميشيل ليريس وكلود ليفي ستراوس. ويوبخ الكاتب الأول لكتابته في كُتيبه "المسألة العرقية أمام العلم الحديث": "من السذاجة محاولة إقامة تسلسل هرمي للثقافة."،
أما الكاتب الثاني فيوبخه لأجل هجومه على "التطورية الزائفة": لأنها "تحاول قمع تنوع الثقافات، من خلال اعتبارها مراحل في تطور واحد يبدأ من نفس النقطة، ويفترض أن يؤدي إلى تقاربها نحو نفس الهدف". ويحظى ميرسيا إلياد بمعاملة خاصة لجرأته على كتابة ما يلي: "لم يعد الأوروبي يواجه سكانا أصليين، بل محاورين يحاورونه. من الجيد معرفة كيفية بدء الحوار؛ ومن الضروري إدراك أنه لم يعد هناك حل للاستمرارية بين ما يسمى بالعالم البدائي أو المتخلف والعالم الغربي الحديث."
وأخيرًا، يُلام المفكرون الأمريكيون، هذه المرة، بسبب مبالغتهم في المساواة؛ إذ صرح أوتو كلاينبرغ، أستاذ علم النفس بجامعة كولومبيا، قائلاً: «من الخطأ الأساسي اعتبار الثقافات الأخرى أدنى من ثقافتنا لمجرد أنها مختلفة».
ومما لا شك فيه أن السيد كايوا في صحبة جيدة مع تلك المجلة.

-16
"دفاتر لوسيان ليفي برول"، المطابع الجامعية في فرنسا، 1949.